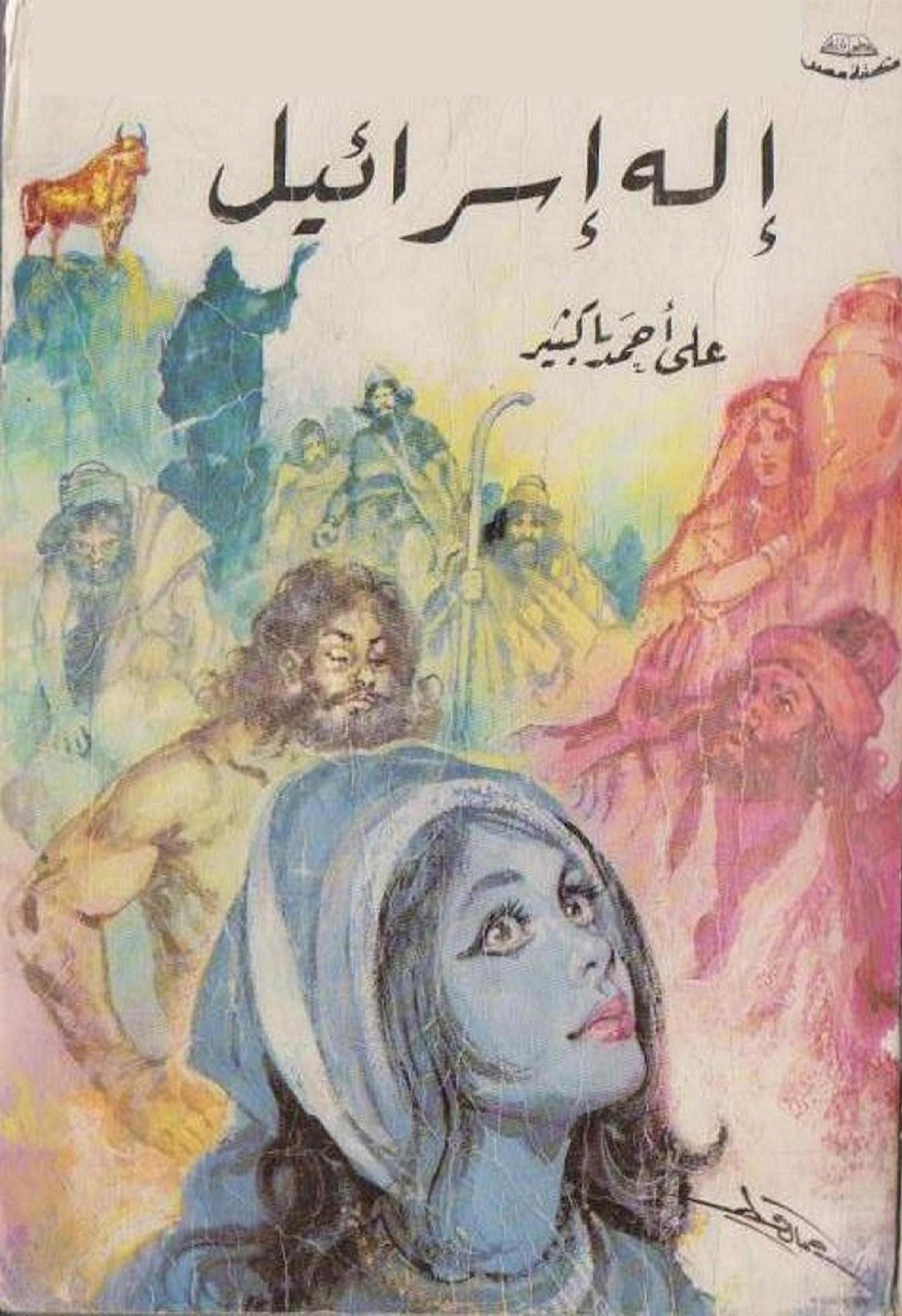

إله إسرائيل
علي أحمد باكثير

مطبوعات مكتبة مصر

إله إسرائيل

تأليف

على أحمد باكثير

الناشر

مكتبة مصر

سعيد جودة السحار وشركاه

٣ شارع كامل صدقى - الفجالة

ت: ٥٩٠٨٩٢٠

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

« قرآن كريم »



RA/07

مقــدمة

هذه ثلاث مسرحيات فى مسرحية واحدة .

أو مسرحية من ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فى عهد موسى عليه السلام .

والفصل الثانى : فى عهد المسيح عليه السلام .

والفصل الثالث : فى العصر الحديث .

استقيت حقائقها من الكتب المقدسة الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن ومن التلمود ومن كتب أخرى كثيرة كتبها اليهود أو كتبت عنهم فى مختلف العصور ..

وظلت فكرتها مختمرة فى ذهنى منذ أكثر من خمسة عشر عاما و لم يتسنّ لى إنجازها إلا منذ ثلاثة أعوام .

وقد توخيت إجلالاً لمقام الأنبياء عليهم السلام ألا تظهر أشخاصهم على المسرح وإن كانوا حضورا فيه . ولقد أرهقنى ذلك شيئاً ما غير أنى كسبت به أن المسرحية أصبح فى الإمكان تمثيلها على المسرح دون أن تثير اعتراض المتحرجين من رجال الدين إن شاء الله . والله ولى التوفيق

المؤلف

الخــروج

مسرحية فى خمسة مشاهد

المشهد الأول

معبد مصرى فى مدينة رعمسيس ، على الجدران نقوش وكتابات . صنم كبير منصوب فى الصدر ، وبين قدميه المذبح مضاء بالشموع ، وفى الأركان مجامر يسطع منها البخور ... الوقت بعد منتصف الليل)

[يرفع الستار عن الكاهن (حابى) راكعا فى خشوع أمام الصنم ، يهمهم همهمة منغومة كأنها تراتيل يناجى بها الصنم]

الكاهن : (يقطع الصلاة فجأة ويلتفت خلفه متمتما) : لم يحضروا بعد . عجبا ماذا أخرهم (يعود إلى صلاته كما كان) (يسمع قرعا خفيفا على الباب الخارجى) .. ها هم أولاء !(ينطلق خارجا ثم يعود ومعه سبعة شيوخ يمشون وهم يتلفتون خلفهم يخشون أن يراهم أحد) .

الكاهن : لا تخافوا . أقفلت باب المعبد .

أحدهم : إن هذا المعبد لرهبة !

ثانيهم : رهبة عجيبة .

الكاهن : صه .. لا كلام الآن .. صلوا أولا للإله .

الشيوخ : أى إلٰه ؟

الكاهن : (**مشيرا إلى الصنم**) إلٰهنا .. اركعوا له !

الشيوخ : لهذا الصنم وليس بيننا أحد من المصريين ؟

الكاهن : أنا كاهن هذا المعبد(**يركع للصنم**) .

الشيوخ : أنت إسرائيلى !

الكاهن : هكذا ينبغى أن أصنع وإلا انكشف سرى .

الشيوخ : هذا حين تكون أمام المصريين .

الكاهن : بل دائماً . هكذا أوصانى أبى كما أوصاه جدى من قبل . وهكذا استطعنا أن نأخذ من أموال المعبد ونذوره ما نشاء فنفرقه على بنى جنسنا . ويلكم أتظنون أننا كنا نحتفظ بسرنا هذا ثلاثة أجيال لو لم نلتزم سنن المصريين فى كل وقت كما لو كنا منهم ؟

الشيوخ : لكن ...

الكاهن : إن من يخون السر تخونه العلانية (**بلهجة جازمة**) : هيا اركعوا مثلى للإلٰه المعبود ! (**يركع الشيوخ**)

الكاهن : (**يعلن انتهاء الركوع**) الآن أديتم ما عليكم .

الأول : يكفى هذا ؟ هذا هين .

الثانى : أكنت تريد المزيد ؟

الأول : لا بأس إذا لزم .

الثالث : سيان عند هذا الصنم ..

الكاهن : (**ينهره**) قل : المعبود .

الثالث : معذرة .. هذا المعبود سيان عنده الركوع الطويل والركوع القصير .

الرابع : بل يستوى عنده الركوع وعدم الركوع !

الكاهن : (**يتصنع الغضب**) صه ! الاستهزاء بالإلٰه المعبود كفر .

الأول : انظروا إلى وجهه ! الغضب باد فيه .
الخامس : يخيل إلى أنك على حق .
السادس : أجل .
السابع : حقا يا قوم !
الرابع : هكذا نحته المثّال ليثير الرهبة فى قلوب عابديه .
الثالث : ولسنا من عابديه .
الأول : كلا .. ما كان هكذا من قبل !
الثانى : بل هو هكذا أمس واليوم وإلى الأبد .
الرابع : (**منكرا**) إلى الأبد ؟ هذا كفر .
الثانى : كفر ؟
الثالث : أجل . لا يبقى إلى الأبد غير إله إسرائيل .
الثانى : أنا ما قصدت هذا المعنى .
الرابع : فماذا قصدت ؟
الثانى : إلى أن يتاح له من يحطمه !
الكاهن : (**كمن يصحو من غفلة كان فيها**) يحطمه ! من ذا الذى يجرؤ أن يحطمه ؟
الرابع : (**ساخرا**) موسى بن عمران ! (**يقهقه الجميع ساخرين**)
الكاهن : (**يكف عن الضحك فجأة**) كفى يا قوم سخرية !
الشيوخ : من أجل موسى تغضب ؟
الكاهن : من أجل إلهنا المعبود(**يشير إلى الصنم**) اركعوا له ثانية(**يركع**).
الشيوخ : نركع ثانية(**يركعون**) .
الأول : (**بعد انتهاء الركوع**) ونركع له ثالثة إن شئت .
الكاهن : (**مغضبا**) قلت لكم كفى سخرية !
الأول : قسما بإله إسرائيل ما قصدت السخرية بل قلت هذا من صميم

قلبى .

الرابع : يا للإلحاد ! تقسم بإله إسرائيل إنك لا تسخر من عدو إله إسرائيل !

الأول : دعنى من هذا ، كلاهما إله .

الآخرون : إلحاد صريح ... كفر صريح !

الأول : أنا وحدى ؟ ألم تركعوا أنتم لهذا كما تركعون لذاك ؟

الآخرون : فى الظاهر فقط .

الأول : وفى الباطن أيضاً . لقد ركعنا له الليلة فى السر .

الآخرون : (**يتمتمون فيما يشبه الندم**) صحيح .. صحيح ..

الثالث : يا ويلنا قد أغضبنا إلهنا .. أغضبنا إله إسرائيل .

الرابع : كل هذا منك يا حابى .

الآخرون : أجل ... كل هذا منك .

الكاهن : لا لوم عليكم .. هذا مبلغ إيمانكم بإله إسرائيل .

الشيوخ : ماذا تقول ؟ ليس بين قومنا من هم أعلم منا بالدين .

الكاهن : إنما تعلمون القشور دون اللباب .

الشيوخ : وأين اللباب ؟

الكاهن : حيث يرتفع عنكم الحجاب فترون إلهكم رأى العين .

الشيوخ : هذا ما يزعمه لنا موسى بن عمران ،يزعم أن الإله تجلى له فى طور سيناء .

الكاهن : من يدرى أى إله ذاك الذى تجلى له ؟

الشيوخ : يقول إنه إله إسرائيل .

الكاهن : إن تجلى له مرة واحدة فقد تجلى لى أنا مرات .

الشيوخ : لك أنت ؟

الكاهن : ولأبى من قبلى وجدى من قبله .

الشيوخ : أين ؟
الكاهن : هنا .
الشيوخ : فى هذا المعبد الوثنى !
الكاهن : فى هذا المحراب . (**ينظر بعضهم إلى بعض**)
الشيوخ : حنانك يا حابى لاتشكّكنا فى ديننا . حسبُنا ما لقيناه من موسى .. حسبنا موسى واحد .
الكاهن : هل يستطيع موسى أن يريكم ما زعم أنه رأى ؟
الشيوخ : لا .
الكاهن : فلا حق لكم أن تقرنونى به .
الشيوخ : (**فى اهتمام وقلق**) وأنت تستطيع ؟
الكاهن : لهذا دعوتكم الليلة . لقد أمرنى أن أختار سبعة من بنى إسرائيل ليتجلى عليهم فاخترتكم أنتم .
الشيوخ : (**فى ذهول**) .. ؟
الكاهن : ما خطبكم ؟ ألا تحبون أن يتجلى عليكم ؟
الشيوخ : (**ينظر بعضهم إلى بعض**) ... ؟
الكاهن : أجيبوا ألا تحبون أن تروه رأى العين ؟
الشيوخ : متى ؟
الكاهن : الليلة .
الشيوخ : الليلة ؟
الكاهن : الساعة !
الشيوخ : الساعة ؟
الكاهن : (**يشير إلى الصنم**) صلوا للإله !
الشيوخ : أى إله ؟
الكاهن : إله إسرائيل .

الشيوخ : لكن هذا ..

الكاهن : (**فى حدة**) لا تراجعونى .. سيتجلى لكم فيه . اركعوا معى للإله . (**يركع الكاهن فيركعون معه ويـردد فيرددون**) : سبوح قدوس هللويا ! سبوح قدوس هللويا ! (**يظهر شيطانان من خلف المذبح فيومئان إلى الشموع فينطفئن ويظلم المسرح فلا يرى فيه شىء وإنما تسمع أصوات الراكعين :**) سبـوح قدوس هللويا !

صوت : (**من جهة الصنم**) قد سمعت لكم يا أبنائى قد سمعت لكم . (**يضاء المسرح إذ تنار الشموع مرة أخرى وإذا إبليس قد وقف دون الصنم وعن يمينه شيطانان وعن يساره شيطانان**) ارفعوا رءوسكم يا أبنائى وانظروا إلى وجهى . (**يرفع القوم رءوسهم فينظرون ذاهلين ..**)

إبليس : لا تخافوا .. أنا إلٰهكم إلٰه إسرائيل قد تجليت عليكم واصطفيتكم .

الكاهن : سبوح قدوس . المجد لك يا إلٰه إسرائيل والعظمة لك !

الشيوخ : سبوح قدوس . المجد لك يا إلٰه إسرائيل والعظمة لك !

إبليس : أحقا تحبوننى ؟

الشيوخ : ولا نحب سواك .

إبليس : فما بالكم تؤثرون غضبى على رضاى ؟

الشيوخ : اغفر لنا ما كان منا الليلة فقد وقع منا دون قصد .

الثالث : حابى هو الذى أوقعنا فى هذا الذنب .

الآخرون : أجل حابى هو الذى أوقعنا .

إبليس : (**ينظر إلى الكاهن كالمستفسر**) ! .

الكاهن : يا إلٰهنا إنهم ظنوا أنك غاضب عليهم لأنهم عبدوا هـذا الإلٰـه المصرى .(**يضحك إبليس وشياطينه**)

إبليس : يا أبنائى هذا لا يغضبنى . إن الإلٰه الحق لا يغضبه أن تُعبد الآلهة الباطلة .

الكاهن : (**ينظر إليهم كأنه يقول لهم ألم أقل لكم**) ..؟

إبليس : إنما أغضبنى أنكم عصيتمونى أنتم وقومكم وأطعتم موسى .

الشيوخ : ما أطعناه يا مولانا إلا لأنه أراد أن ينقذنا من ظلم فرعون واضطهاده .

إبليس : بل أراد أن يخرجكم من مصر ذات الزرع والضرع لتهلكوا فى البرية من جوع وعطش .

الشيوخ : لكنه زعم لقومنا أنه سينزلهم بأرض تفيض لبناً وعسلا .

إبليس : لقد ساء ما منّاكم ! أو لستم اليوم فى أرض تفيض اللبن والعسل وتفيض الفضة والذهب .

الشيوخ : لكن فرعون انتزع الذهب والفضة من أيدينا وحرم علينا التجارة والمراباة وسخرنا فى فلاحة الأرض وبناء الهياكل والمعابد فصرنا عبيداً أو كالعبيد .

إبليس : لولا موسى ما بلغ اضطهاد فرعون لكم ما بلغ .

الشيوخ : حقاً زاد اضطهاده لنا منذ ظهر موسى .

إبليس : (**يتنهد**) شد ما أتعبنى موساكم هذا .. يعلم أن فرعون إلٰه فى قومه فيدعوه وقومه إلى التوحيد !

الشيوخ : إنه يزعم يا إلٰهنا أنك أرسلته ليدعو المصريين إلى توحيدك ..

إبليس : كلا لا ينبغى أن ينال شرف توحيدى سواكم يا بنى إسرائيل فأنتم أبنائى وأحبائى من دون العالمين .

الشيوخ : لقد كانت هذه عقيدتنا حتى جاء موسى فأوقعنا فى حيرة وشك ..

إبليس : لو كنتم مخلصين لى ما شككتم .

الشيوخ : والمعجزات التى ظهرت على يديه .. ألست أنت الذى أيدته بها ؟

إبليس : بلى . من غيرى ؟ ولكنى لم أؤيده بها ليقنع فرعون وقومه بالتوحيد كما زعم .

الشيوخ : ولا ليحمل فرعون على السماح لنا بالخروج من مصر ؟

إبليس : ولا لهذا .

الشيوخ : فلأى شىء إذن ؟

إبليس : (**ينظر إليهم مليا ثم يلتفت إلى شياطينه**) انظروا يا ملائكتى إلى أبنائى هؤلاء كيف يلجّون فى جدالى .

الشياطين : لا بأس يا مولانا أن تشرح لهم حكمتك .

الشيوخ : (**فى ذلة وانكسار**) إن كان فى سؤالنا هذا حرج ..

إبليس : كلا لا حرج (**تلتمع عيناه كأنه وجد الجواب**) أيدت موسى بالمعجزات ليحمل فرعون على رفع الاضطهاد عنكم لتعيشوا فى أرضه أحراراً كما كنتم من قبل فتكون لكم السيادة والقوة بما تجمعون فى أيديكم من مالها وذهبها حتى تصبح تحت سيطرتكم ويصبح أهلها عبيداً لكم .

الشيوخ : (**فى نشوة وفرح**) سبوح قدوس هللويا !

إبليس : ولكن موسى بدل الرسالة وخان الأمانة ، إذ تحدى فرعون ليثير المصريين عليه فيجلس على العرش مكانه ، فلما أخفق فى ذلك أراد أن يخرج بكم من أرض مصر ليتسلط عليكم فى البرّية وتكونوا تحت رحمته .

الشيوخ : إذن فابن عمران قد طمحت نفسه إلى الملك .

إبليس : أعطيته الرسالة فعافها وأراد الملك .

الكاهن : أعياه أن يكون ملكا على مصر فأراد أن يكون ملكا على إسرائيل .

الشيوخ : هلا نصرته على فرعون يا مولانا .. إذن لجلس على عرش مصر فكان لنا فيها المجد والسلطان .

إبليس : أتظنون أن موسى كان يفضلكم حينئذ على المصريين ؟ وعزتى وجلالى ليتخذن له نسبا فى آل فرعون وليتبرأن منكم وليذيبنكم فى المصريين فلايبقى لإسرائيل وجود .

الكاهن : لا عجب فقد ربى موسى فى قصر فرعون .

الرابع : إنّا إذن لن نخرج مع موسى أبدا .

الآخرون : أجل لن نتبعه ولن نخرج معه .

الثالث : سنتخلف عنه وإن خرج معه جميع بنى إسرائيل .

الآخرون : أجل .. أجل .

إبليس : كلا يا أبنائى .. إن خرجوا معه فاخرجوا معهم .

الشيوخ : نخرج معه وقد عصاك وتحداك ؟

إبليس : أنتم شيوخ إسرائيل وقد اصطفيتكم لتقاوموه وتحدوا من طغيانه .. ولا ينبغى أن ينفرد موسى ببنى إسرائيل .

الشيوخ : لا قبل لنا بموسى فإنه قوى جبار .

إبليس : لا تخافوا . سأكون معكم عليه ولن أتخلى عنكم . سأتجلى لكم فى كل حين .

الأول : لو تجليت لقومنا هكذا لانفضوا عن موسى وتركوه .

الآخرون : أجل سينفضون عنه إذا تجليت لهم .

إبليس : ما يكون لى أن أتجلى إلا للمصطفين فقولوا لهم إنى تجليت لكم .

الشيوخ : لن يصدقوا دعوانا حتى يروك كما رأيناك .

إبليس : حسبهم أن يرونى فى الذهب .

الشيوخ : (**فى اهتمام بالغ**) الذهب ؟

إبليس : نعم ، بلغوهم أنى قد جعلت من نعمتى عليهم أن أتجسد لهم فى هذا المعدن النفيس فليحرصوا على جمعه لتكون لهم القوة والسلطان .

الأول : أما هذا فسيؤمنون به ويفرحون .

الآخرون : لكن أنى لهم بالذهب ؟ لقد انتزعه فرعون من أيديهم .

الرابع : وموسى كان السبب .

الآخرون : أجل .. موسى كان السبب .

إبليس : وأنتم بعدُ له طائعون ولأمره سامعون ؟

الشيوخ : ماذا فى وسعنا أن نفعل يا مولانا ؟

إبليس : حذروا قومكم منه . خذلوهم عنه حتى يتركوه .

الشيوخ : سيبطشون بنا إن فعلنا ولن يتركوه .

إبليس : (**فى حقد**) فاقتلوه !

الشيوخ : (**ينظر بعضهم إلى بعض فى حيرة وذعر**) ... !

الكاهن : (**متلطفا**) يا إلهنا إن موسى تحدى فرعون وسحرته فغلبهم جميعا فمن ذا يجرؤ على قتله وقد أيدته أنت بالمعجزات ؟

إبليس : (**فى زهو**) صدقت يا حابى .. صدقت .

الأول : اقتله أنت يا إلهنا وخلصنا منه .

الآخرون : أجل .. لماذا لا تقتله أنت ؟ ألا تستطيع يا إلهنا أن تقتله ؟

إبليس : (**يستشيط غضبا**) تَّبا لكم كيف تشكون فى قدرتى ألا تؤمنون أنى إله السموات والأرض ؟

الشيوخ : بلى يا مولانا (**فى ضراعة**) ... غفرانك غفرانك .

إبليس : إن كان لكم إله غيرى فاذهبوا إليه !

الشيوخ : كلا يا مولانا ما لنا إله غيرك .

إبليس : أهذا جزاء اصطفائى لكم ؟

الشيوخ : (**يبكون**) غفرانك .. غفرانك ...

إبليس : (**للشياطين**) ماذا ترون فى هؤلاء الذين يشكون فى قدرتى ؟

الشياطين : أبناؤك يا مولانا وقد ندموا على ما فرط منهم وأنت أرحم الراحمين .

الشيوخ : أنت أرحم الراحمين !

إبليس : لولا العهد الذى كتبته على نفسى أن أجعل بنى إسرائيل شعبى المختار لحل عليكم غضبى إلى الأبد ...

الشيوخ : غفرانك .. غفرانك :

إبليس : ما هذه الدموع التى تذرفون ؟ إنها تحرق قلبى !

الشيوخ : دموع التوبة يا مولانا ... دموع التائبين .

إبليس : امسحوها ! امسحوها !

الشيوخ : لن نمسحها حتى تغفر لنا .

إبليس : قد غفرتُ لكم !

الشيوخ : (**يمسحون دموعهم ويرفعون أيديهم إلى السماء**) شكرانك .. شكرانك !

إبليس : ويلكم منذا تشكرون ؟

الشيوخ : إياك نشكر يا مولانا .

إبليس : أفلا ترونني أمامكم ؟

الشيوخ : (**يدركون خطأهم فيرتبكون**) بلى .. بلى .

إبليس : يا بنى آدم ماذا تنتظرون ؟ أتريدون أن أسجدلكم ؟

الشيوخ : سبحانك .. سبحانك !

إبليس : هيا إذن فقعوا لى ساجدين !

الكاهن : (**يسجد**) سبوح قدوس هللويا !

الشيوخ : (**يسجدون**) سبوح قدوس هلّلويا ! (**ينظر إبليس إلى شياطينه فى اغتباط**)

(**ستار**)

المشهد الثانى

(فى برية سيناء حيث نزل موسى ببنى إسرائيل رحبة تتوسط المنظر .. وتظهر خلفها بعض الخيام التى ضربوها ليقيموا فيها .)

(فى أدنى اليمين يرى جانب من خيمة موسى) . (يرفع الستار عن جماعة من بنى إسرائيل بين رجال ونساء وقوف أمام الخيمة فى رهبة ووجوم وبين أيديهم كومة من أكياس مصرورة ويرى بين القوم بعض الشيوخ السبعة وقد وقف هرون فى طرف الخيمة بحيث لا يراه المتفرجون)

« الوقت : أول الضحى »

عزرا : (**أحد الشيوخ**) ألا تخبرنا يا هرون ماذا ينوى أخوك أن يفعل بنا ؟

هرون : (**فى أسى**) لا أدرى .

رجل : وهذه الأكياس ماذا ينوى أن يفعل بها ؟

الرجال : حلى نسائنا !

النساء : حلينا وزينتنا !

هرون : (**بلطف**) صه يا قوم لا ترفعوا أصواتكم . إنه فى المحراب يصلى . (**تهدأ الأصوات**)

عزرا : (**بصوت خافض**) يصلى فى المحراب ويتركنا وقوفاً فى قلق وخوف !

هرون : الآن ينتهى من صلاته ويخرج لكم .

رجل : ألا تستطيع أن تهدئ قلوبنا بكلمة ؟

عزرا : الفصيح اللسان الذى حاج فرعون عن أخيه لا يستطيع الآن أن يقول كلمة واحدة !

رجل : إن كان يريد أن يصادر هذه الحلى فإنها لكارثة !

امرأة : لكن علام يصادرها ؟ إنها ملكنا ولا نملك غيرها .

عزرا : ربما صار اليوم حراماً على النساء أن يتحلين بالذهب !

هرون : يا عزرا لا ينبغى أن تتكلم كلام الجاهلين .

عزرا : تكلم أنت كلام العارفين وأنا أسكت !

امرأة : حنانك يا هرون خبرّنا لماذا أمرك بجمع حلينا ؟

هرون : رويدك يا مرتا ... ستسمعين ذلك من فمه .

عزرا : يا هرون إن مرتا تتوسل إليك أن تسمع الساعة من فمك .

هرون : لن أتكلم قبل أن يجىء أخى موسى .

عزرا : أنت العارف لا تريد أن تتكلم فدعنى أنا الجاهل أتكلم !

هرون : (**فى ضجر**) تكلم ما شئت على ألا ترفع صوتك .

عزرا : لا تخف . إن موسى فى شغل عنا بصلاته . تحبين يا مرتا أن أجيب على سؤالك ؟

النساء : نعم . أجب يا عزرا .. أجب !

عزرا : أنا لا أدعى علم ما فى ضمير موسى ولكنى سأخمن وأحدس . لعل موسى رأى أن هذه الحلى الذهب لا تتسق مع هذه العيشة الضنك التى نحياها فى هذه البرية القفر !

مرتا : فماذا يريد أن يصنع بالحلى ؟

عزرا : سأخمن أيضاً . لعله يريد أن يحفظها وديعة عنده حتى يدخل بنا بلداً يفيض لبناً وعسلا !

رجل : فيم إذن وقف بنا فى هذه الأرض المقفرة وأمرنا أن نعمل فيها ونكدح

كما لو كنا سنبقى فيها ونستقر ؟

عزرا : سأخمن مرة أخرى . لعله يريد منا أن نحول هذه الأرض إلى بلد عامر تجرى فيه الأنهار كمصر !

هرون : تريد يا عزرا أن تثير فى قومك فتنة !

عزرا : إنما أريد أن أهدئهم يا هرون حتى لا تثور بينهم الفتنة !

هرون : لا شأن لى إن غضب موسى . قد أنذرتك .

عزرا : أناشدكم الله يا قوم هل تروننى داعى فتنة كما زعم هرون ؟

الجميع : كلا يا هرون . إن عزرا يريد بنا الخير !

عزرا : سأوضح لكم حتى لا يلتبس قولى على هرون .. خبرونى يا بنى إسرائيل هل كان فرعون منكم ؟

الجميع : كلاّ ليس منا .

عزرا : ألم تكونوا تطيعونه إذ كنتم تحت حكمه فى مصر ؟

الجميع : بلى كنا نطيعه .

عزرا : أو لم ينتزع الذهب من أيديكم ؟

الجميع : بلى ، انتزعه من أيدينا و لم يبق لنا شيئاً .

عزرا : فموسى اليوم أحق بطاعتكم من فرعون !

هرون : (**متمتما**) لو سمعك موسى تقول هذا القول !

عزرا : إنى أدعوهم إلى طاعته !

هرون : صه ! ها هو ذا موسى قد أقبل . (**يهدأ القوم مستكينين كأنما على رءوسهم الطير**)

موسى : (**يسمع صوته دون أن يظهر على المسرح**) سلام يا بنى إسرائيل !

الجميع : سلام يا موسى .

موسى : (**فى لهجة يمازجها غضب**) وأنى عندكم السلام ؟ (**صمت**)

موسى : هرون !

هرون : لبيك يا كليم الله .

موسى : جمعت الذهب ؟

هرون : نعم . هو ما ترى فى هذه الأكياس .

موسى : كل ما عندهم ؟ كل ما عندهن ؟

هرون : نعم فيما أعلم .

موسى : يا بنى إسرائيل هل أخفى أحدكم شيئاً منه ؟

الجميع : لا .

موسى : (**يتناول كيساً من الأكياس حيث لا تظهر غير يده ثم يرمى الكيس بقوة حيث كان .. ويسود الصمت لحظة ثم يقول بصوت رقيق كأنه يناجى نفسه**) : إنى ذاهب إلى ميقات ربى فأصدقونى ولا تؤخرونى (**يغلظ صوته ويرتفع بغتة**) أنى لكم هذا ؟ (**صمت**)

موسى : أصم لا تسمعون ؟ أم بُكْم لا تنطقون ؟

هرون : (**فى لطف**) أجيبوا يا قوم !

موسى : أنى لكم هذا الذهب ؟

عزرا : خفض عليك يا موسى . اذهب إلى ميقات ربك الساعة حتى إذا عدت من لقائه كان لك مع هؤلاء شأن .

موسى : كلا لا أبرح مكانى هذا حتى أعلم من أين جاء هذا الذهب !

رجل : (**متلعثما من الخوف**) هذه حلى ...

موسى : أعلم أنها حلى . من أين ؟

آخر : حلى نسائنا .. خرجن بها من مصر .

موسى : لا تخادعونى .. لم يبق عند نسائكم فى مصر من حلى . أصدقونى وإلا فو الذى أنا ذاهب إلى ميقاته لأفعلن بكم الأفاعيل !

رجل : استعارها نساؤنا من جاراتهن المصريات ليلة العيد ... ليلة الخروج ..

امرأة : وأعجلنا الخروج فلم نتمكن من إعادتها إليهن .

موسى : (**فى أسى كأنما يندب نفسه**) رجال كذبة ونساء كاذبات ! (**يعلو صوته غضباً**) هلا قلتم .. هلا قلتن : قصدنا السرقة خدعنا المصريين وسرقناهم ؟

(**صمت**)

عزرا : لعلهم استحلوا ذلك من أموال الوثنيين .

أصوات : أجل .. من أموال الوثنيين !

موسى : (**غاضباً**) يا غلاظ الرقاب أفيسرق الموحّدون ؟!

عزرا : ليس علينا فى أموال الوثنيين سبيل .

موسى : اخسأ ! من قال لكم ذلك ؟

عزرا : تناقلنا ذلك عن آبائنا .

موسى : قبح الله آباءكم الذين بدلوا ملة أبينا إبراهيم وأطاعوا الشيطان الرجيم . ورب العزة لأعاقبنكم شر عقاب يا غلاظ الرقاب .

أصوات : اغفر لنا يا موسى اغفر لنا هذه المرة ! لن نعود لمثلها أبداً .

موسى : (**كأنه يناجي نفسه**) السارق موحّد ، والمسروق وثنى !

أصوات : اغفر لنا يا كليم الله ... اغفر لنا إنا كنا جاهلين .

موسى : (**ماضياً فى مناجاة نفسه**) الوثنى مسروق والموحد سارق !

أصوات : نتوسل إليك يا كليم الله ... لا تغضب علينا ! لا تعاقبنا ... اعف عنا يا موسى ! اعف عنا يا كليم الله !

موسى : (**كأنما يصحو من غمرة كان فيها**) قاتلكم الله ! لقد أخرتمونى عن ميقات ربى ! اختر نفراً منهم يا هرون فلينطلقوا بهذه الحلى إلى مصر ليردوها إلى أربابها ثم ليرجعوا إلينا .

النساء : (**تتعالى أصواتهن**) يا موسى ! يا كليم الله ! دع لنا حلينا ! لا تأخذ حلينا منا ! ما عندنا غيرها ! هى كل ما نملك !

موسى : (**يصيح غاضباً**) صه أيتها الأُتُن الحُرُن ! لتسكُتُنَّ أو لأجزَّن ضفائركن !

(**صمت**)

عزرا : معذرة يا موسى . ربما يتعذر تنفيذ ما أمرت . من أين لرسلك أن يعرفوا ربات هذه الحلى فى مصر ؟

موسى : (**ينظر إليه ملياً ثم يلتفت إلى هرون**) يا هرون خذ من كل واحدة اسم جارتها المصرية التى استعارت منها فاكتبه على كيس حليها (**ينظر مرة أخرى إلى عزرا**)

عزرا : (**يتمتم فى ارتباك**) طريقة حسنة .

هرون : أليس يخشى على رسلنا أن يبطش بهم المصريون ؟

موسى : ليستأمنوا بعض أمرائهم الحاكمين على الأطراف فإذا أمنوهم فلا خوف عليهم . إنهم أحفظ منكم للعهد !

هرون : سمعاً يا كليم الله سأنفذ أمرك .

موسى : يا بنى إسرائيل أطيعوا هرون فى غيابى فهو خليفتى فيكم ! انصرفوا الآن إلى رحالكم ! (**ينفض الجميع وينصرفون**)

موسى : أوصيك يا هرون بهم خيراً .

(**ستار**)

المشهد الثالث

داخل كهف واسع عميق يبدو مدخله الضيق كفتحة صغيرة فى أقصى المسرح من جهـة اليمين .

(يرفع الستار فترى إبليس واقفا فى الركن الأيسر مـن أدنى المسرح ومعه شياطينه الأربعة عن يمينه وشماله وترى الشيوخ السبعة ساجدين أمامه فى خشوع)

إبليس : ارفعوا رؤوسكم يا أبنائى المصطفين !

الشيوخ : (**يرفعون رءوسهم باكين**) ارحمنا يا مولانا ارحمنا ! ارحم شعبك المختار !

إبليس : امسحوا دموعكم فإنها تقطع قلبى شفقة ورحمة !

الشيوخ : (**يمسحون دموعهم**) ليس لنا غيرك يا إله إسرائيل .

إبليس : قد علمت ما حل بكم اليوم فأسرعت إليكم لأربط على قلوبكم .

الشيوخ : شكرانك يا مولانا قد علمنا أنك لن تتخلى عنا ..

إبليس : (**يشير إلى أحد شياطينه**) هذا جبريل يخبركم كيف تركت كل شىء لأدرككم . حدثهم يا جبريل .

الشيطان : لقد كان المولى يلهو كدأبه مع اللفياثان فقطع لهوه المقدس ليغيث شعبه المختار .

الشيوخ : (**متسائلين**) اللفياثان !

إبليس : ويح أبنائى لا يعرفون اللفياثان !

الشيطان : حوت كبير من الذهب ...

الشيوخ : من الذهب ؟!
الشيطان : نعم .. حوت الحيتان ، نون النينان .
الشيوخ : من الذهب ؟
الشيطان : نعم .. النون الأعظم الذى فى وسعه أن يبتلع السموات والأرضين وما بينهما دون أن يشعر أنه ابتلع شيئاً .
الشيوخ : كل هذا من الذهب ؟
الشيطان : الذهب الخالص .
الشيوخ : سبوح .. قدوس !
عزرا : وأين كان إلٰهنا يلعب مع ذلك الحوت ؟
الشيطان : أين ؟ لا أين !
الشيوخ : لا أين ؟
إبليس : قربه إلى أذهانهم يا جبريل .
الشيطان : فى البحر الزخار .. فى العيلم الهدار ..بحر البحور الذى لا ساحل له !
الشيوخ : سبوح قدوس !
الشيطان : أبشروا يا شعب إسرائيل . ما رأيت مولانا منذ خلقنى ترك لهوه المقدس هذا يوما قط لأحد سواكم .
إبليس : كيف أترك شعبى يعبث به موسى كما يشاء ؟
الشيوخ : أغثنا يا مولانا . إنه انتزع الذهب من أيدينا ومن أيدى نسائنا ليرده إلى مصر .
إبليس : إنى لن أغيثكم إلا بأيديكم . تحركوا واعملوا وأنا معكم .
الشيوخ : ماذا نفعل يا مولانا ؟ ماذا نصنع ؟
إبليس : هو غائب عنكم الآن .
الشيوخ : أجل ، ذهب إلى الجبل زاعما أنك واعدته هناك .. أحقاً يا مولانا

واعدته هناك ؟

إبليس : (**يتوقف قليلا كأنه يفكر فى الجواب**) .

عزرا : لا ريب أنه ادعى ذلك كذبا ليوهمنا أنك لم تزل تتجلى له .

إبليس : كلا ... لقد واعدته حقاً هناك .

الشيوخ : ألم تزل تتجلى له وقد عصاك وتحداك ؟

إبليس : لعله يرجع يوماً إلى صوابه فيطيع أمرى فيكم . أتدرون متى أتخلى عنه ؟

الشيوخ : متى ؟

إبليس : يوم تتخلصون أنتم من قبضة يده .

عزرا : لن نتخلص من قبضة يده إلا إذا تخليت عنه فإنه يستمد قوته منك .

الآخرون : أجل يا مولانا .. يستمد قوته منك .

إبليس : هذا حق ولكن حكمتى اقتضت أن تكافحوه بأنفسكم لتكتسبوا من كفاحه قوة تعينكم فى كفاح غيره من الجبارين فى المستقبل .

الشيوخ : أنكافح جبارين آخرين فى المستقبل ؟ أما يكفينا ما لقيناه من موسى ؟

إبليس : أراكم تجادلوننى الآن فى حكمة الخلق .

الشيوخ : غفرانك يا إلٰهنا لا نقصد جدالك .

إبليس : بل جادلونى لا حرج لتزدادوا معرفة بى وبحكمتى . لقد خلقت هذا الكون العظيم وجعلت له سننا ثابتة لا تتغير لتحفظ نظامه أن يختل أو يضطرب . وقد اخترتكم شعبى يا بنى إسرائيل فلا مناص أن تحسدكم شعوب الأرض على مكانتكم عندى وعلى المواهب التى خصصتكم بها من دون العالمين ، فستحقد الشعوب عليكم وتضطهدكم جيلا بعد جيل .

الشيوخ : (**فى إشفاق**) جيلا بعد جيل !

إبليس : ستضطهدون حيثما تكونوا ولكنكم ستكافحون وتنتصرون .

عزرا : لكن موسى هذا لماذا يضطهدنا وهو منا ؟ أيحسدنا هو أيضاً ؟

إبليس : موسى لا يحسدكم ولكن لا يريد أن أتخذكم شعبى المختار ؛ يريد أن يسوى بينكم وبين سواكم من الآدميين . اختصصتكم بالتوحيد.. فأراد أن يدعو المصريين إليه . أبحت لكم ذهب المصريين فانتزعه من أيديكم ليرده إليهم .

الشيوخ : هو يحب المصريين خيرا منا .

إبليس : بل يخشى أن يربو هذا الذهب فى أيديكم حين تتعاملون به مع جيرانكم فى المستقبل .

الشيوخ : وماذا يضيره من ذلك !

إبليس : ما أسرع ما نسيتم كلماتى ! ألم أقل لكم إن من رحمتى ببنى إسرائيل حين اتخذتهم شعبى المختار أن جعلت الذهب مظهرى فى الأرض يعبدوننى فيه ، ويدنون منى على قدر ما فى أيديهم منه حتى يستعلوا به على الشعوب ؟

الشيوخ : بلى قد قلت لنا ذلك وبلّغناه لقومنا .

إبليس : فموسى يكره لكم الذهب لأنه لا يريد لكم علوا فى الأرض ولا امتيازا على الشعوب .

الشيوخ : يا مولانا إن موسى ليس إلهًا فكيف تركته يتحدى إرادتك إلى هذا الحد ؟

إبليس : (**محتدا**) يا غلاظ الرقاب لأتيح لكم أن تكافحوه ! يا غلاظ الرقاب إن شعبى المختار ستحسده شعوب الأرض وتضطهده فعليه أن يكافح ليخلد ويسود ! يا غلاظ الرقاب شعبى متى تفهمون حكمتى ؟

الشيوخ : (**فى ضراعة**) غفرانك يا مولانا قد فهمنا حكمتك .

إبليس : فأطيعوا إذن أمرى !

الشيوخ : ألا ترشدنا ماذا نصنع ؟

إبليس : ماذا تصنعون ؟ ثبوا على هرون فانتزعوا الذهب منه قبل أن يرسله إلى مصر .

الشيوخ : سيأخذه موسى كرة أخرى إذا رجع .

إبليس : صبّوا تلك الحلى واجعلوها قطعة واحدة فتضيع معالمها ويتعذر ردها إلى أربابها .

عزرا : وبذلك تبطل حجة موسى .

إبليس : ثم اصنعوا من ذلك الذهب عجلا فاعبدوه .

الشيوخ : عجلا يا مولانا ؟

إبليس : نعم .

الشيوخ : نعبد العجل كالمصريين ونحن موحدون ؟

إبليس : ويلكم إنما تعبدوننى أنا فيه .. عجل من خالص الذهب .

الشيوخ : قد يقول قومنا ؛ هذا معبود المصريين فلن نعبده .

إبليس : سأريهم آية من عندى .

الشيوخ : آية من عندك ! .

إبليس : سأنفخ فيه من روحى فيكون له حركة .

الشيوخ : حركة ؟

إبليس : وخوار .

الشيوخ : خوار ؟

إبليس : ليعلم موسى أن معجزاتى لم تعد وقفاً عليه .

الشيوخ : شكرانك يا مولانا شكرانك ! .

إبليس : امضوا الآن لتدركوا هارون قبل أن يبعث الرسل .

الشيوخ : سمعاً يا مولانا سمعاً ! .

إبليس : وسأمضى أنا لميقات موسى (**يرسل قهقهة عالية**) لكأنى به الآن يدعونى سدى فى كل سفح من سفوح الجبل لأتجلى له ! هيا يا ملائكتى إلى الجبل . (**يختفى إبليس وشياطينه**)

الشيوخ : (**فى نشوة**) سبوح قدوس هللويا ! . (**يتوجهون فى نشاط نحو باب الكهف فى أقصى المسرح**)

(**ستار**)

المشهد الرابع

نفس المنظر فى المشهد الثانى

(يرفع الستار عن الرحبة وقد اكتظت بجموع بنى إسرائيل من رجال ونساء وهم عاكفون على عجل مصنوع من الذهب يلمع فى ضوء الشمس وهو يتحرك فى مكانه ويخور والقوم متوجهون إليه بالعبادة مظهرين الخشوع تارة ومحملقين إليه متعجبين من حركته وخواره تارة أخرى وقد نصب العجل بجوار خيمة موسى على يمين المسرح بحيث يستدبر الخيمة ويستقبل جمهور العاكفين عليه فى الرحبة . ووقف إلى جانب العجل عزرا وهو ينشد لحنا كالترانيم الدينية ليردده الآخرون)

(الوقت وسط الضحى)

عزرا : (ينشد والآخرون يرددون .) :

هـــذا إلٰهنـــا الــــذى ... يشهدنـــا ونشهـــدُهْ

إلٰـــه إسرائيـــل مـــن ... صافى الـــنضار جسده

خير إلٰـــه نعبـــده ... يرفدنـــا ونرفـــده

إذا نما نما بـــــه ... سؤددنـــا وسؤدده

لا كالـــذى يـــنشده ... مـــوسى ولـــيس يجده

يـــا ويح مـــوسى إنـــه ... غـــوى وضل رَشده

إلٰـــه إسرائيـــل بيننـــا ... ومـــوسى يجحـــده

يـــنشده بين الجبـــا ... ل ،ضلـــة مـــا يـــنشده

لعلـــه يـــرى هنـــاك ... جلمـــدا فيعبـــده

شتّان فى شرع الحجــى　　عسجدنــا وجلمــده !

هرون : (**يسمع صوته داخل خيمة موسى**) يا بنى إسرائيل ألا ترعوون عن غيّكم هذا ؟ كيف تكفرون بإلهكم وتعبدون هذا الوثن ؟

أصوات : هذا إلهنا يا هرون ! وإلهك ! هلم اعبده معنا أو فاتركنا ! اذهب إلى موسى فى الجبل ! اذهب إلى الجبل ! إلى الجبل ! .

هرون : كيف تعبدون العجل ؟ العجل معبود فرعون وقومه !

أصوات : بذلك ساد فرعون وقومه ! هذا سر عظمتهم وسر قوتهم ! سنكون أعظم منهم .. عجلهم من حيوان يموت ويبلى ، وعجلنا من ذهب لا يموت ولا يبلى ! .

هرون : يا بنى إسرائيل ارجعوا إلى صوابكم وتوبوا إلى ربكم !

أصوات : هذا ربنا معنا فتب أنت إليه .

هرون : يا بنى إسرائيل !

أصوات : كفى يا هرون ! هذا يوم عيد لنا . هذا عيد الرب فلا تزعجنا بصياحك . قسما بربنا هذا لئن لم تنته لنرجمنك ! لنرجمنك ! .

هرون : ارجمونى إن شئتم ولا تعبدوه .

أصوات : سنرجمك ونعبده ! دعونا يا قوم من هرون ! عودوا بنا إلى العبادة ! أنشد يا عزرا .. أنشد ترنيمةِ المعبود ! .

عزرا : (**يستأنف الإنشاد وهم يرددون بعده**)

هــذا إلهنــا الــذى　　يشهدنــا ونشهــدُهْ

إلــه إسرائيــل مــن　　صافى الــنضار جسده

خير إلــه نعبــده　　يرفدنــا ونرفــده

إذا نما نما بــه　　سؤددنــا وسؤدده

لا كالــذى يــنشده　　مــوسى ولــيس يجده

هرون : (**صائحاً**) يا بنى إسرائيل ! يا بنى إسرائيل ! هذا موسى قد أقبل

من بعيد ! .

همهمة : موسى ! موسى ! موسى !

هرون : أميطوا هذا الوثن من هنا وألقوه بعيدا أوليفعلن بكم الأفاعيل .

عزرا : ماذا يستطيع موسى أن يفعل ! سنقول له : نحن جميعا صنعناه ونحن جميعاً عبدناه .

أصوات : أجل نحن جميعاً صنعناه ونحن جميعاً عبدناه ! .

هرون : قد أنذرتكم فلا تلومُن إلا أنفسكم . (**يتطلع القوم إلى جهة الخيمة**)

همهمة : موسى يا قوم ! موسى ! موسى ! (**ينفض الذين كانوا بجوار الخيمة حول العجل فيتقهقرون إلى غمار القوم فى الرحبة تاركين العجل قائماً وحده أمامهم**) .

موسى : (**صوته من الخيمة**) ويلكم ما هذا الذى تصنعون ؟ (**صمت**) .. (**بصوت أشد**) ما هذا الذى أنتم عليه عاكفون ؟ (**صمت**) أين هرون ؟

هرون : (**صوته**) لبيك يا كليم الله .. هات هذه الألواح أحملها عنك .

موسى : (**فى غضب**) ما أنت والألواح ؟ دعها معى !

هرون : (**فى رقة**) أردت يا أخى أن أحمل عنك العبء ..

موسى : ويلك ... عجزت عن حمل وصية واحدة لى أفتحمل وصايا الله العشر ؟

هرون : معذرة يا موسى ..

موسى : خبرنى أين كنت ؟

هرون : كنت هنا يا موسى .

موسى : كنت هنا وتركتهم يعبدون هذا الصنم من دون الله ؟ (**يرمى الألواح فتقع على الأرض بجوار العجل الذهبى فهى ملقاة هناك**

ظاهرة فى المسرح) . ويل لك ! لآخذن بلحيتك هذه الكثة !

هرون : (**صوته مستغيثاً**) مهلا يا أخى !

موسى : ما أنا بأخيك !

هرون : يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى !

موسى : (**مزمجراً**) لحيتك لا تكفى لآخذن برأسك !

هرون : ولا برأسى .. اسمع عذرى يا كليم الله ثم افعل ما بدا لك .

موسى : أى عذر لك ؟

هرون : أرسل شعرى من قبضة يديك لأستطيع أن أشرح لك .

موسى : هات ما عندك .

هرون : إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء .

موسى : ضعفت لهم فاستضعفوك !

هرون : يا كليم الله إن الله لم يجعل لى قوتك .

موسى : خبرنى من أين جاءوا بهذا ؟

هرون : وثبوا علىّ بعدك فانتزعوا حلى المصريين التى جمعتها فصاغوا منها هذا العجل وعبدوه .

موسى : واستطعت أن تعيش بينهم بعد ؟ هلا كان بطن الأرض خيراً لك من ظهرها وقد كفر قومك بالله وعبدوا عجلا من ذهب ؟

هرون : وددت والله لو أماتنى الله قبل أن أرى ما رأيت .

موسى : ألم يكن معك رجالك فأين كانوا ؟

هرون : كانوا قلة فى كثرة .

موسى : قلة والله معهم ؟

هرون : خشيت يا أخى أن تقول فرّقت بين بنى إسرائيل و لم ترقب قولى .

موسى : أفرقبت قولى إذ تركتهم يعبدون هذا العجل ؟

هرون : يا ابن أم إنك تعرف ضعفى ، وها هو ذا الصنم أمامك وها هم

أولاء عابدوه فحاسبهم أولا ثم حاسبني .

موسى : يا بني إسرائيل من الذى صنع لكم هذا العجل ؟

الجميع : نحن جميعاً صنعناه ونحن جميعاً عبدناه !

موسى : أنتم جميعاً عبدتموه ولكن من الذى صنعه ؟ .

الجميع : نحن جميعاً صنعناه ؟

صوت : كلا يا موسى . أنا الذى صنعته ! هذا فنى وإبداعى ! أنا هرون السامرى ! (**همهمة استنكار**)

هرون : هلم ادن منى ! . (**يتقدم السامرى فيقف إلى جوار العجل أمام موسى**)

السامرى : نعم يا كليم الله .

موسى : أنت صنعت هذا ؟

السامرى : نعم .

موسى : كيف صنعته ؟ .

السامرى : أعطونى الحلى فقالوا : أرنا فنك .. اصنع لنا منها عجلا ففعلت .

هرون : سله يا أخى كيف جعله يتحرك ؟

موسى : إنه ليس يتحرك .

هرون : قد كان يتحرك ويخور قبل مجيئك فافتتن به القوم .

السامرى : أجل يا كليم الله .

موسى : أساحر أنت ؟

السامرى : لا والله ما أنا بساحر ولكنى بصُرت بما لم يبصروا به من سر الحياة .

موسى : كيف ؟

السامرى : وددت لو تركتنى أحتفظ بهذا السر وحدى ! ... سر المهنة يا كليم الله ! .

موسى : كلا بل قله لنا !

السامری : رأيتك ذات مرة تناجی ربك ، فألهمت أن لو قبضت قبضة من التراب الذی كنت واقفاً عليه ، وذررته فی صلب أی تمثال أصنعه لدبت فيه الحياة .. وكذلك فعلت فصدقنی إلهامی !

موسى : ذلك الشيطان يا سامری .

السامری : الشيطان !! .

موسى : هو الذی ألهمك لتضل به بنی إسرائيل .

السامری : اغفر لی يا كليم الله ... فما كنت أعلم .

موسى : ألم تعلم أن العبادة لله وحده ؟

السامری : بلى ...

موسى : فكيف دعوتهم إلى عبادة هذا العجل ؟

السامری : أنا ما دعوتهم إلى عبادته .. هم الذين عبدوه ..

موسى : (**بعد سكتة قصيرة**) لو قد دعوتهم إلى عبادته لكان جزاؤك القتل . ولكن اذهب فإن لك فی الحياة أن تقول لا مساس ...

السامری : (**مستفهماً**) لا مساس ؟

موسى : اذهب فاعتزلنا ... لا تمس أحداً منا ولا يمسك منا أحد .

السامری : القتل يا موسى أهون عندی من ذلك .

موسى : هذا جزاء ذنبك .

السامری : (**يبكی**) إنی لنادم على ما سولت لی نفسی .. وإنی لتائب إلى الله .

موسى : هذا سبيل توبتك .. اذهب !

السامری : (**فی بكائه**) لا مساس .. لا مساس ... تبألكم يا بنی إسرائيل تبألكم يا بنی إسرائيل ! . (**يخرج ولكن يبقى صوته مسموعاً وهو يبتعد حتى ينقطع بعد حين**)

موسى : (**للقوم بعد انقطاع صوت السامری**) : السامری صنع لكم

العجل ... فمن الذى دعاكم إلى عبادته ؟

القوم : نحن جميعاً عبدناه !

هرون : (**بصوت خافت**) عزرا هو الذى كان يرتل الصلاة للصنم ...

موسى : مهلا يا هرون ... أريد أن أسمع منهم لا منك ... (**للقوم**) يا غلاظ الرقاب من الذى دعاكم؟

القوم : لا أحد ... لا أحد ... نحن جميعاً عبدناه ! (**فترة صمت**)

موسى : يا هرون أين رجالك ؟

هرون : بين يديك ... تقدموا يا رجال ! (**يتقدم جماعة من جوانب الخيمة حتى يقفوا أمامها**)

موسى : عبدتم العجل أنتم ؟

الجماعة : معاذ الله يا كليم الله ...

موسى : الحمد لله ... خذوا سيوفكم فقفوا على مدخل خيمة العهد ومخرجها . ثم ليدخل بنو إسرائيل واحدا واحداً فسلوا كل واحد منهم من دعاه أول مرة إلى عبادة هذا الصنم ، فمن يجب فأعطوه السيف ليقتل به من دعاه ، ومن لم يجب فاقتلوه هو !

القوم : (**يتعالى صياحهم**) ارحمنا يا كليم الله ! لا تجعلنا نقتل أنفسنا !

موسى : هذا قضاء الله فيكم أن تقتلوا أنفسكم !

القوم : لنخبرنك إذن ! عزرا هو الذى دعانا .. عزرا بن أليعازر ! عاقب عزرا ! اقتل عزرا !

عزرا : (**صائحاً**) تباً لكم يا جُبناء !

موسى : هلم يا عزرا ! .(**يتقدم عزرا أمام الخيمة**) أنت الذى دعوتهم ؟

عزرا : (**لا يجيب**) ...

موسى : (**صائحاً**) تكلم !

عزرا : لا لست أنا الذى دعاهم ..

موسى : فمن ؟ .
عزرا : إلّه إسرائيل !
موسى : (**يضربه بالسوط**) . اخسأ عليك اللعنة !
عزرا : (**يتقهقر قليلا**) لا تضربني .
موسى : سأقتلك يا كافر .... لقد كفرت بإلّه إسرائيل !
عزرا : أنت الذى كفرت به !
موسى : أنا رسوله وكليمه !
عزرا : بدلت الرسالة وخنت الأمانة ! .
موسى : إذ نهيتكم عن عبادة هذا العجل ؟
عزرا : نعم ..
موسى : ويلك ما زلت تؤمن أنه إلّهك ؟
عزرا : إلهى وإلّه إسرائيل .
موسى : (**غاضباً**) لأحطمن إلّهك هذا ولأنسفنه فى اليم نسفاً . إيتونى بالصنم .(**يحمل الصنم إلى داخل الخيمة ويسمع صوت تحطيمه**) أيها الكفرة الفجرة ! كيف تعبدون هذا الذى لا يملك لكم نفعا ولاضراً ؟
عزرا : يا بنى إسرائيل ! موسى يكره لكم الذهب لأنه إلّهكم فى الأرض ! إن إلّه إسرائيل قد اصطفاكم شعبه المختار وموسى لا يريد لكم ذلك !
موسى : خذوه !
عزرا : افعل بى ما شئت .. فلن تقدر على بنى إسرائيل بعد اليوم ..
موسى : احفروا له فى الأرض فارجموه !
عزرا : (**يسوقونه حتى يخرجوا به وهو يصيح**) : موسى عدوكم يا بنى إسرائيل .. عدوكم وعدو إلّهكم . ثوروا عليه !
موسى : يا بنى إسرائيل ! أتؤمنون لهذا الفاسق ؟

القوم : كلا كلا يا كليم الله ... أنت رسولنا وهادينا .. لا نؤمن إلا لك !

موسى : إذن فليرجع كل واحد منكم إلى رحله ولا يبرحه حتى يدعى إلى خيمة العهد ...

القوم : خيمة العهد ؟ ماذا نصنع فى خيمة العهد ؟

موسى : لتنفذوا قضاء الله فيكم .. لتتوبوا إلى بارئكم .

القوم : قد تبنا إلى بارئنا يا كليم الله !

موسى : هذا سبيل التوبة .

القوم : (**باكين**) ارحمنا يا كليم الله ! اعف عنا يا كليم الله !

موسى : الرحمة عند الله .. والعفو عند الله .

القوم : حنانك يا كليم الله !

موسى : (**محتدا**) يا غلاظ الرقاب ... كلمة واحدة ! انصرفوا إلى رحالكم ! (**ينفض الجمع وينصرفون فى حزن وعويل**)

هرون : أرى عينيك تدمعان يا كليم الله !

موسى : (**بصوت يمازجه البكاء**) إنهم قومى يا هرون !

هرون : إن شئت رفعت عنهم هذه العقوبة .

موسى : كلا والله لأتبعنها بعقوبة أخرى أشق عليهم وأشد !

هرون : ماذا أنت صانع بهم بعد ؟

موسى : لأقوضن خيامهم غداً ولأوذننّهم بالرحيل !

هرون : إلى أين ؟

موسى : إلى حيث يتيهون فى الأرض حتى ينقرض هذا الجيل كله ؟ .

هرون : كيف يا أخي ؟ .

موسى : لأهيمن بهم فى هذه البرّية من بقعة إلى بقعة ، لا أدعهم يذوقون دعة ولا أمنا ولا قرارا حتى ينقرض هذا الجيل الذى استحوذ عليه الشيطان وينشأ مكانه جيل جديد .

هرون : يا ابن أم شد ماتُتعب نفسك وقومك !

موسى : مه يا هرون ... هذا أمر الله سبحانه .. وى ! أين ألواحى ؟ أين ذهبت ألواحى ؟

هرون : تلك هى يا كليم الله ألقيتها أنت آنفا من يدك .. (**لرجاله**) ناولونى تلك الألواح !(**يلتقط ثلاثة من رجاله الألواح الملقاة فى وسط المسرح ويحملونها إلى داخل الخيمة**)

موسى : يا ويلتا ! ألقيتها وفى نسختها كلمات الله ووصاياه ! غفرانك ربى أنت الغفور الرحيم .

(**ستار**)

المشهد الخامس

فوق جبل عباريم بأرض مؤاب . جانب من سفح الجبل ، يرى من خلفه فى أفق المسرح من بعيد معالم باهتة من مدينة أريحا تحوطها الأشجار ، ولكن تحجبه فى الجانب الأيمن من المسرح صخرة كبيرة تشغل هذا الجانب . وخلف هذه الصخرة يجلس موسى (محجوبا عن النظارة بحيث يسمع صوته فقط)

يرفع الستار فنرى شابا فى حدود العشرين (هو ابن هرون) جالسا فى أدب واحترام عن شمال الصخرة مستقبلا بوجهه النظارة دون أن يحول طرفه عن جليسه المتوارى خلف الصخرة) .

(الوقت بعد العصر عند الأصيل)

موسى : وهذا الأصيل قد أوشك يطوى النهار .. وما من نبأ عن القوم !

ابن هرون : خفض عليك يا عم .. فسيأتيك البشير بما تحب ..

موسى : متى يا بنى ... متى ؟

ابن هرون : عما قريب يا عم ...

موسى : عما قريب ! ... منذ ثلاثة أيام وأنت تردد هذا القول ...

ابن هرون : ماذا عليك لو صبرت قليلا بعد ؟

موسى : يا ليت لى مثل صبرك !

ابن هرون : ما يكون لى يا عم أن أكون أصبر ممن كلمة الله فماً لفم .

موسى : يرحم الله هرون أباك ! ... ما أشبهك به فى حلمه وطول أناته .

ابن هرون : سمعت يا عمى أنه لذلك أحبه بنو إسرائيل ...

موسى : أجل .. أحبوه و لم يحبونى !

ابن هرون : بلى يا عم إنهم ليحبونك أيضاً . وإن كانوا يحبون أبى أكثر ..

موسى : كلا لا يحبوننى ألبتة . وإنما يهابوننى ويخشون وجهى ..

ابن هرون : سمعتهم يقولون إنك لو لنت لهم قليلا لأحبوك ..

موسى : هيهات .. إن بنى إسرائيل غُلف القلوب ، غلاظ الرقاب .. فلو أنى لنت لهم لين أبيك لاَستضعفونى كما استضعفوه . ولربما ظلوا يعبدون العجل إلى اليوم فكانوا أمة كسائر هذه الأمم التى تعبد الأوثان من دون الله !

ابن هرون : غير أنى أشفق عليك أن تبخع نفسك هما ، فما ضرك يا عم لو خفّضت جأشك قليلا ريثما يأتيك نبأ الجيش بما يرضيك ...

موسى : ويحك يا بنى .. هذا تاسع يوم منذ خرجوا إلى القتال و لم يأتنى عنهم أى نبأ ...

ابن هرون : أتخشى أن يكونوا أصيبوا بسوء ؟ إذن لا تتهت إلينا أنباء خطبهم ..

موسى : كلا ما الهزيمة أخشى عليهم .. فما يشاءه الله يقضه ، ولكنى أخشى أن يكونوا قد حادوا عن السبيل مذ غاب عنهم وجهى ... كما فعلوا مرارا من قبل ..

ابن هرون : ما أحسبهم يعصون أمرك بعدما أطاعوك فخرجوا يجاهدون فى سبيل الله ...

موسى : ما زال يرن فى أذنى قديم قولهم لى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ...

ابن هرون : متى قالوا ذلك يا عم ؟

موسى : عندما تحرش بنا العمالقة فى أول التيه ، قبل أن تولد أنت بعشرين سنة ...

ابن هرون : ذلك عهد بعيد يا عم ... لقد تبدل القوم بفضل ماربيتهم فى التيه أربعين سنة ... وما أحسب أن قد بقى اليوم من أولئك الذين قالوا

هذه القولة أحد ...

موسى : أجل قد هلك معظم أولئك الشيوخ الخانعين ، ولكنى لا آمن أن يكونوا قد أورثوا أبناءهم بعض ما فيهم ... وددت والله لو استقبلت من أمرى ما استدبرت . إذن لضربت بينهم وبين أبنائهم برزخا لا يلتقون .

ابن هرون : لا ينبغى يا عم أن تتوقع ما لم يقع و لم يأت به برهان ...

موسى : لقد رابنى يا ابن أخى أنى كلما بعثت رسولا لاستطلاع أمرهم ذهب الرسول و لم يعد ..

ابن هرون : إن شئت استطلعت لك أمرهم بالنبأ اليقين ...

موسى : كلا لا تفعل .. فعسى أن تذهب مثلهم فلا تعود ...

ابن هرون : علىّ عهد الله لأعودن إليك .

موسى : كلا .. أنت بقية أهلى وفيك أجد ريح هرون أخى ، وأحب أن يأتينى قضاء الله وأنت بجوارى .

ابن هرون : ستعيش لنا طويلا بعد يا عم .

موسى : هيهات يا ابن أخى . إنى أحس أن الساعة قد دنت.

ابن هرون : لن تموت حتى ترى الأرض المقدسة التى وعدنا الله .

موسى : إنما وعدها الله لعباده الصالحين وما أحسب هؤلاء القوم يستحقون هذا الوعد .

ابن هرون : فيم يا عم ؟ ... إنهم اليوم لصالحون .

موسى : (**يتنهد من أعماق قلبه**) آه أنت لا تعرفهم يا بنى مثلى ! سل لى الآن يا ابن أخى عمن فى بطن الوادى من النساء والأطفال هل هم فى أمان وخير ؟

ابن هرون : قد تفقدتهم آنفا فوجدتهم فى أمان وخير ، ووجدت الحراس قائمين عليهم.

موسى : تفقدهم مرة ثانية حتى يطمئن قلبى .
ابن هرون : سمعاً يا كليم الله .
موسى : على ألا تغيب عنى طويلا .
ابن هرون : سأعود حالا إليك . (**يخرج من جهة اليمين**) (**يظهر إبليس من جهة اليسار ومعه اثنان من شياطينه وهم يتهامسون**) .
الأول : ها هو ذا الساعة وحده !
الثانى : وقد أضنته العلة وأكلته السن فلاخوف علينا منه .
إبليس : أجل سأواجهه اليوم فأقضى عليه .
الأول : تقضى عليه ؟
إبليس : أجعله يموت كمدا ! .
الثانى : كيف ؟
إبليس : صه ! إنه يدعو ! (**يعبر إبليس وشيطاناه المسرح متسللين حتى يقفوا فى الموضع الذى كان يجلس فيه ابن هرون**)
موسى : (**يدعو فى ابتهال وخشوع**) اللهم لا يأس من هدايتك ولا قنوط من رحمتك . اللهم إنك استحفظتنى على بنى إسرائيل فأعنّى على هدايتهم فإنه لا هادى لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت !

اللهم إنك تعلم أنى ما خرجت بهم من أرض فرعون إلا ليطهروا من سوء ما كانوا فيها يعملون من أوزار المدن وأدران الشرك ، حتى يعبدوك وحدك فى هذه البرّية لا يفتنهم فيها ذهب ولا يستعبدهم فيها جبار . اللهم فإن هؤلاء الكنعانيين وجيرانهم اعتدوا علينا فى هذه الأرض المباركة ، فكما أخرجتنا من أرض أولئك الجبارين فانصرنا على هؤلاء الجبارين وأورثنا أرضهم وديارهم واجعلنا من الصالحين . اللهم إن قومى ضعاف النفوس فاربط على قلوبهم وثبت أقدامهم وانصرهم على القوم الظالمين ! آمين .

إبليس : موسى !

موسى : .... ؟

إبليس : يا موسى !

موسى : أعوذ بالله منك !

إبليس : تتعوذ من إلٰهك ؟

موسى : منك أيها الشيطان الرجيم !

إبليس : هل ترانى ؟

موسى : لا ولا أريد .

إبليس : فأنى تعرف من أكون ؟

موسى : أنا رسول الله وكليمه !

إبليس : كنت تدعونى آنفا .

موسى : كذبت . كنت أدعو الله ربى .

إبليس : فهل أجابك ؟

موسى : ماشأنك أنت !

إبليس : لو دعوتنى أجبتك .

موسى : لعنة الله عليك ... اذهب عنى !

إبليس : عز علىّ يا موسى أن تدعو من لا يسمعك وتترك من يسمعك .

موسى : (**غاضباً**) يا عدوا الله أتريد أن تفتن كليم الله ؟ أوَ لم تعلم أن ليس لك علىّ سلطان ؟

إبليس : ما يضيرنى ألاّ سلطان لى عليك وأنت فرد ، بعد ما استحوذت على قومك وهم شعب .

موسى : ذاك فيما مضى .

إبليس : وفى الحاضر والمستقبل !

موسى : كلا .. كلا !

إبليس : لا تتعب نفسك يا موسى . انفض يدك من بنى إسرائيل فهم شعبى لا شعبك .

موسى : اخسأ أيها اللعين ! (**يقذفه بالحجارة فتتساقط من حوله**)

إبليس : عجباً لك تقذفني بحجارتك كأنما تقدر أن تنالنى بسوء . أوَ تقدر يا موسى على ما لم يقدر عليه ربك ؟!

موسى : قبحك الله ما أجرأك على خالقك العظيم .

إبليس : ذاك فضلى الذى أمتاز به على سائر الخلق منذ خلعت نير العبودية عن عنقى فليس فوق سلطانى سلطان .

موسى : بل سلطان الله فوق سلطانك أيها الطريداللعين . إنما أنظرك إلى يوم الدين . فليلقينّك يومئذ فى العذاب المهين إلى أبد الآبدين !

إبليس : ليصنع بى يومئذ ما يشاء فحسبى أنى تحديته واستكبرت عليه ونفذت مشيئتى دون مشيئته وغلّبت حكمى على حكمه ..

موسى : تعالى الله عما تقول لا معقّب لحكمه ولا راد لمشيئته .

إبليس : ألم تر إلى آدم كيف أسكنه ربك جنته فأخرجته أنا من جنته ؟

موسى : بل قضى الله بذلك فى سابق علمه وحكمته .

إبليس : وبنو إسرائيل هؤلاء ..

موسى : ما بالهم ؟

إبليس : أراد أن يجعلهم عباده فاختطفتهم من يده وجعلتهم عبادى ! ..

موسى : خسئت يا لعين .. لن يكون الموحّدون عبادك يا عدو الموحدين ! ...

إبليس : رويدك رويدك . أتعد هؤلاء موحدين الذين عبدوا فى مصر أوثان المصريين ؟

موسى : قد أخرجتهم من أرض الوثنية .

إبليس : فهل استطعت أن تخرج الوثنية من قلوبهم ؟ ألم يعبدوا العجل فى

طور سينين ؟

موسى : قد تابوا من ذلك وكانوا من النادمين .

إبليس : إنما ندموا على الذهب الذى كانوا له عابدين وسيعبدونه حيثما وجدوه إلى يوم الدين .

موسى : هيهات أين أنت منهم اليوم ؟ ... إنهم يجاهدون فى سبيل الله ! .

إبليس : بل فى سبيلى !

موسى : كذبت . أنا أمرتهم بالخروج لقتال الكنعانيين .

إبليس : ولكنى أنا بصّرتهم كيف يقاتلون .

موسى : أنا جعلت عليهم فتاى الأمين يوشع بن نون .

إبليس : قد عصوا يوشع كما عصوا هرون من قبل واتبعوا ما أمرتهم به .

موسى : (**فى شك وإشفاق**) وى !!

أبليس : لاتبتئس يا موسى فقد هديتهم إلى النصر والكرامة .

موسى : مثلك لا يهدى إلا إلى الخذلان والمهانة !

إبليس : أبشر يا موسى فقد فتحوا أمس إحدى المدينتين الأماميتين واليوم فتحوا الثانية .

موسى : الحمد لله رب العالمين !

إبليس : أحرى بك أن تحمد إله إسرائيل !

موسى : ويلك إله إسرائيل هو رب العالمين .

إبليس : كلا يا ابن عمران ما بلغ بى الغرور أن أزعم أنى إله العالمين وإنما أنا إله إسرائيل ، بى يؤمنون ولى يسجدون وبتأييدى على أم الأرض يعلون غدا وينتصرون !

موسى : كذبت يا لعين وخسئت !

إبليس : إن ساءك انتصارهم فالعنّى ، ولكن إن سرك فاحمدنى ، فمن عندى كان النصر .

موسى : يا رجيم إنما النصر من عند الله .

إبليس : لو تعلم حقيقة ما صنع قومك ما قلت هذا القول .

موسى : ويلك ماذا تعنى ؟

إبليس : أنت أمرتهم بقتال المقاتلة من الرجال ، ونهيتهم عن التعرض للنساء والشيوخ والأطفال ، زاعماً لهم أن ذلك أمر الله ؟ .

موسى : ذلك أمر الله حقاً !

إبليس : فاعلم إذن أنهم لم يتعرضوا للرجال ، وإنما انقضوا على الشيوخ والنساء والأطفال ، فأعملوا فيهم التذبيح والتقتيل ومثّلوا بهم أفظع تمثيل .

موسى : (فى اضطراب عظيم) كلا كلا لا ينبغى أن أصدق قولك أيها الكذاب الأشر .

إبليس : (فى رقة) ويحك يا موسى إنك لا تجهل ضعف بنى إسرائيل وجبنهم فلو أنهم أطاعوا أمرك هذا أو أمر ربك كما تزعم لبادوا جميعاً بسيوف جبابرة كنعان . ولكنهم أطاعوا أمرى فتم لهم النصر بالرعب الذى نشروه فى قلوب أعدائهم .

موسى : هذا كذب وبهتان !

إبليس : عما قريب يأتيك النبأ اليقين .

موسى : حاشا لله أن يفعلوا ذلك .

إبليس : بل حاشا لى أن أدع هؤلاء الكنعانيين يستأصلون شعبى المختار .

موسى : شعبك المختار ؟ شعبك ؟

إبليس : نعم .. شعبى لقد آليت لأتخذن بنى إسرائيل أبنائى ولأجعلهم رسلى وأعوانى فى العالم ، وقد بلغت اليوم بعض ما أريد ولأبلغن غداً كل ما أريد !

موسى : كذبت . لن يكونوا رسلك وأعوانك بعد ما حملوا الوصايا

العشر !

إبليس : (**يضحك**) الوصايا العشر : لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . إلى آخرها .. ما أهون هذه الوصايا عندى ! لأحطمنها كما حطمتها أنت من قبل عندما نزلت من الجبل !

موسى : كذبت . إنما ألقيت الألواح من غضبى فانكسرت . أما الوصايا فباقية إلى الأبد !

إبليس : صدقت يا موسى ولكنى سأحطمها فى نفوس بنى إسرائيل .

موسى : لقد حفظوها فلن تستطيع محوها من قلوبهم !

إبليس : كلا لن أمحوها من قلوبهم يا موسى ولكن سأفسرها لهم تفسيراً جديداً من عندى .

موسى : إنها واضحة كالشمس لا تقبل التأويل .

إبليس : لأوحين إليهم أنها إنما أنزلت لتكون قيوداً وأغلالا لغير بنى إسرائيل من أمم العالم من حيث يبقى بنو إسرائيل أحرارا مطلقين يفعلون بأمم العالم ما يشاءون .

موسى : كلا لن تقدر على ذلك . لن تسلط عليهم يا رجيم !

إبليس : رويدك يا موسى . قد علمت أنى مسلط عليهم من قديم .

موسى : (**يستشيط غضبا**) اغرب عنى عليك اللعنة !

إبليس : لن أبرحك حتى تؤمن بصدق مارويت لك .

موسى : (**يبتهل إلى الله فى حرارة**) اللهم استعنت بك ياذا العزة والجلال . (**يرتاع إبليس وشيطاناه فيتقهقرون جهة اليسار**) يا قيوم السماوات والأرضين اصرف عنى كيد هذ الشيطان الرجيم ! (**يخرج إبليس وصاحباه هاربين وتدوى السماء برعد قاصف وتلمع ألسنة البرق كالسياط فى الأفق**)

إبليس : (**يسمع صوته فى أنين مخيف**) آه ! آه ! أين العهد الذى بينى

وبينك؟آه آه هذا ليس عدلا منك آه .. آه!(**يبتعد الأنين شيئاً حتى يضمحل فى الأفق ولكن الرعد والبرق يستمران**)

موسى : حمدك اللهم إذ صرفت عنى كيده فاصرف كيده عن قومى ! اللهم إنه وسوس لى حتى أوشك أن يصدقه قلبى فأرنى البرهان على بطلان دعواه . اللهم إنى قلق على قومى فاكشف عنى ما أنا فيه وعجل لى بالنبأ اليقين ! (**يدخل ابن هرون من اليمين وخلفه اثنان من الجنود**)

ابن هرون : أبشر يا عم فقد انتصرت إسرائيل !

موسى : (**فى لهف واشتياق**) انتصرت .. كيف انتصرت ؟!

ابن هرون : هذان بشيران من عند القوم .

موسى : دعهما يدنوا منى . (**يتقدم البشيران حتى يتواريا خلف الصخرة**)

البشيران : (**صوتهما**) سلام عليك يا كليم الله !

موسى : لا سلام حتى تخبرانى أبشيران أنتما أم نذيران ؟

البشيران : بشيران يا كليم الله لنبشرك بالنصر والفتح .

موسى : يوشع هو الذى أرسلكما ؟

البشيران : (**يتلعثمان**) يو .. يو .. يوشع ..

موسى : (**فى حدة**) أصدقانى !

البشيران : لا يا كليم الله .. ليس يوشع .

موسى : (**فى ارتجاف**) كيف .. كيف انتصر القوم ؟

البشيران : فتحوا المدينتين الأماميتين .

موسى : كيف .. كيف فتحوهما ؟

البشيران : (**بصوت مرتجف**) دخلوهما .

موسى : كيف دخلوهما ؟

البشيران : آمنين ..

موسى : (**يعلو صوته غضباً**)يا غليظى الرقبة كيف ؟ كيف ؟!

ابن هرون : لو أرسلت تلابيبهما يا عم ليستطيعا الإفصاح لك !

موسى : لا والله حتى يصدقانى القول . لأخنقنهما إن لم يقولا الصدق !

البشيران : (**فى عسر واختناق**) سنفعل يا كليم الله .. سنفعل .

موسى : هل قاتلوا رجال كنعان ؟

البشيران : (**يتلعثمان**) رجال كنعان ...

موسى : (**يهدر صوته غضبا**) قسما برب العزة لئن كذبتمانى لأرمين بكما من هذا الحالق !

البشيران : سنصدقك يا كليم الله .. سنصدقك !

موسى : هل قاتلتم الرجال ؟

البشيران : لا ياكليم الله . رأينا ألا قبل لنا بأولئك الأشداء فبقينا متربصين لهم من بعيد حتى علمنا أنهم يقضون الليل خارج المدينتين يحتفلون بعيد لهم حيث يشربون ويطربون فكبسنا المدينتين .

موسى : وذبحتم الشيوخ والنساء والأطفال ؟

البشيران : نعم لنبث الرعب فى قلوب المقاتلة .

موسى : (**يزمجر غاضباً**) لعنة الله عليكم يا شعب إبليس !

البشيران : سامحنا يا كليم الله فقد طلبت منا أن نصدقك .

موسى : اغربا من وجهى !

البشيران : لا تؤاخذنا يا كليم ...

موسى : يا بشيرى السوء اغربا من وجهى ! اذهبا عنى ! (**يظهر البشيران من خلف الصخرة مرتاعين ثم ينسلان خارجين ويبقى ابن هرون واقفا مكانه لا يدرى ما يفعل**)

موسى : اللهم إنى برىء مما فعل بنو إسرائيل ! اللهم اقبضنى إليك حتى لا

أرى لهم وجها ولا أسمع لهم صوتا ! (**يتأوه فى ألم**) آه .. آه ! أين أنت يا ابن أخى ؟ أدركنى ! (**يخف إليه ابن هرون حيث يتوارى خلف الصخرة**)

ابن هرون : لا بأس عليك يا عم .

موسى : أجل لا بأس علىّ بعد اليوم . عما قليل سألقى الله ربى. اسمع وصيتى يا بنى .

ابن هرون : نعم يا عم .

موسى : إذا أنا مت الآن فاكتم النبأ حتى تدفننى بالليل فى مكان لا يعلمه أحد من قومك .

ابن هرون : فيم يا عم !

موسى : لا أريد أن يقف على قبرى منهم أحد !

ابن هرون : قومك يا عم !

موسى : كلا لست منهم وليسوا منى ! اشهد يا بنى أنى منهم برىء اللهم إنى برىء من بنى إسرائيل وكفر بنى إسرائيل وفسوق بنى إسرائيل !

اللهم أنزل عليهم صواعق لعنتك وسلط عليهم الجبارين يسومونهم سوء العذاب ، واضرب عليهم الذلة والمسكنة والخزى إلى الأبد .. إلى الأبد آمين ! آمين !

(**ستار الختام**)



ملكوت السماء

مسرحية من أربعة مناظر

المنظر الأول

(جانب مرتفع قليلا على ضفة نهر الأردن تتوسطه صخرة قائمة تحجب ماوراءها من شريط النهر بينما يظهر الشريط عن يمينها وشمالها من بعيد ولا سيما ناحية اليمين حيث ينحدر هذا الجانب المرتفع بالتدريج)

(يرفع الستار فنرى رجلا واقفاً بجانب الصخرة يستقبل النهر مولياً ظهره لقاعة المسرح وهو يصلى فى خشوع كأنه تمثال لا يتحرك)

(تدخل من جهة اليسار امرأة بارعة الجمال فى حلة فاخرة وزينة صارخة فتقف قليلا تنظر إلى الرجل الواقف)

(يظهر فى هذه اللحظة إبليس ومعه اثنان من شياطينه من أدنى اليسار فينظرون إلى ما تصنعه المرأة فى اهتمام وارتياح)

المرأة : (فى اغتباط) هذه فرصة ! إنه يصلى فلن يشعر بشىء !

(تتوجه نحو الرجل على أطراف قدميها حتى تدنو منه فتمسح بيديها على ظهره فى رفق ثم تقبل رأسه وحول عنقه ثم تنزل بشفتيها وراحتها على ظهره وهى تنحنى حتى تجثو على ركبتيها فتلثم ركبتيه حتى تنتهى إلى قدميه ثم تنهض كذلك حتى تستوى قائمة فتعانقه وتجيل يديها فى جُمته بحب وحنان

وهو على حاله لا يتحرك إلى أن دارت هى لتقبّله فى وجهه فإذا هو يدفعها عنه . ويراع الشياطين حينئذ فيتقهقرون قليلا وهم يواصلون النظر :)

الرجل : (**متواريا خلف الصخرة**) أعوذ بالله منك ! من تكونين ؟

المرأة : (**بصوت رخيم**) أنا مريم المجدلية .. ألا تعرفنى يا يحيى ؟

يحيى : ماذا تريدين بعد ؟ ألم أزجرك عن متابعتى يا امرأة ؟

المجدلية : (**آخذة بطرف ردائه**) حنانك يا يحيى إنى متيمة بحبك !

يحيى : ويلك توبى إلى ربك يا خاطئة !

المجدلية : سأتوب يا يحيى بعد أن أفوز بعطفك .

يحيى : أنا حصور ولا أرب لى فى النساء .

المجدلية : لكنى أنا يا يحيى لى أرب فيك !

يحيى : يا حبالة الشيطان ابتعدى عنى !

المجدلية : لن أبتعد عنك حتى تعدنى .

يحيى : بأى شىء ؟

المجدلية : بأن تزور بيتى . إنك تعرف بيتى . لا أحديجهل بيت المجدلية فى أورشليم .

يحيى : أزور بيت عاهرة ؟

المجدلية : سامحك الله يا يحيى . أتظننى منديلا لكل شفة ؟ إنما يتودد لى عِلية العِلية من الشيوخ والرؤساء .

يحيى : هؤلاء حطب جهنم .

المجدلية : حطب جهنم !

يحيى : أجل اذهبى إليهم واغربى عنى !

المجدليه : (**تلين صوتها**) قد سئمت من حطب جهنم ، وأشتهى يا يحيى شجرة ناضرة من الجنة !

يحيى : الجنة ليست للخاطئين والخاطئات .

المجدلية : لعلى أتوب يا يحيى على يديك ! تعال يا حبيبى إلى بيتى فى ظلام الليل وسكونه . سأفتح لك الباب وسأضمخك بالطيب وأنيمك على سريرى الوثير .

يحيى : (**ينهرها**) اغربى من وجهى !

المجدلية : ليلة واحدة يا يحيى ثم أتوب على يديك !

يحيى : إليك عنى يا فاجرة ! (**يدفعها بشدة فتقع على الأرض مغشيا عليها**) (**ينطلق منحدرا صوب النهر من جهة اليمين وهو يتمتم**) اللهم اكفنى فتنة المحيا وفتنة الممات ! (**يسرع إبليس وشيطاناه نحو مريم المجدلية فيجلسونها ويروّحون عليها لتفيق**)

الشيطان الأول : مسكينة ! اصطدم رأسها بالصخر ففقدت الوعى !

الشيطان الثانى : (**يتأمل ساقها العارية ويتنهد**) آه ياليتنى من بنى آدم لأذوق هذه الثمرة اليانعة .

إبليس : (**ينهره**) صه ويلك ! إننا نقوم بمهمة عظيمة فلا ينبغى أن تشغلنا عنها الشهوات . إن عدت إلى مثلها لأمسخنّك !

الثانى : آدميا يا مولاى ؟

الأول : آدميا ؟ هذا غاية ما تريد . امسخه يا مولاى كلبا أجرب .

إبليس : بل خنزيرا أجرب !

الثانى : لا لا تفعل يا مولاى .. لن أعود إلى مثلها .. لن أعود إلى (**يسحب طرف ثوبها فيغطى ساقها العارية**) هأنذا قد سترت الفتنة !

إبليس : (**يوسوس فى أذنها**) اتبعيه إلى النهر فاطلبى منه أن يعمّدك لعلك تبلغين منه ما تريدين . هيا انهضى ... انهضى إليه !

(تفيق المجدلية فتفرك عينيها وتنظر يمنة ويسرة دون أن ترى الشياطين الثلاثة ثم تستوى قائمة وتنحدر نحو النهر)

يحيى : (**يهدر صوته فى جنبات النهر**) أيها الناس هلموا أطهركم لتتوبوا إلى ربكم فقد أظلكم ملكوت السماء !

الشيطان الثانى : ماذا يعنى بملكوت السماء ؟

الشيطان الأول : يعنى الرسول الجديد الذى سيظهر عما قريب .

الثانى : هل يمكن أن يظهر اليوم رسول جديد ؟

الأول : هكذا يزعم هذا الرجل .

إبليس : (**كأنما ينتبه من استغراقه**) هيهات .. لا يعلم هذا الرجل أنى قد جعلت ذلك مستحيلا .

الأول : إنه غريب الأطوار .

الثانى : فى ثوبه الخشن من الوبر .

الأول : والمنطقة التى يلف بها حقويه من الجلد .

إبليس : صه لنسمع ما يكون بينه وبين المجدلية .

يحيى : ماذا تريدين بعد يا غاوية ؟ إن لم تكفى عن سوء عملك أغرقتك فى هذا النهر .

المجدلية : إن كنت يا حبيبى تغرق معى فلا بأس !

يحيى : كفّى عن مجونك ... اذهبى عنى .

المجدلية : ألا تطهرنى يا يحيى كما طهرت الآخرين ؟ أليس لى أن أتطهر مثلهم ؟

يحيى : بلى ، عسى الله أن يتوب عليك ويطهرك من هذا الرجس. أعطينى رأسك .

المجدلية : رأسى وجسدى وكلّى !

يحيى : رأسك فقط !

المجدلية : قد مسحت على رأسي يا يحيى فامسح كذلك على صدرى !
يحيى : إنى لا أمسح إلا على الرؤوس !
المجدلية : ألا تريد يا يحيى أن تطهر القلوب ؟
يحيى : بلى .
المجدلية : فأين القلوب يا يحيى إلا فى الصدور ؟
يحيى : إنى أرش الماء على الصدر وعلى سائر الجسد .
المجدلية : المسح يا يحيى أرق وألطف !
يحيى : ويلك ما زال الشيطان يوسوس لك بعد إذ عَمّدتك .
المجدلية : إذن فعَمّدنى يا يحيى مرة ثانية .
يحيى : هاتى رأسك (**يعمدها مرة ثانية**)
المجدلية : أوقد تطهرت الآن يا يحيى بهذا المسح والرش ؟
يحيى : إنى أطهركم بالماء وسيأتى المسيح ليطهركم بروح القدس .
المجدلية : المسيح ؟
يحيى : المسيح الذى يفتح لكم ملكوت السماء .
المجدلية : خبرنى عن هذا المسيح أهو جميل الصورة مثلك ؟
يحيى : الشيطان ما زال يوسوس لك . اذهبى عنى .
المجدلية : بل من حقى عليك أن تعمّدنى مرة ثالثة .
يحيى : على أن تكفى عن لغوك وفاحش قولك ؟
المجدلية : نعم . (**يعمدها للمرة الثالثة**)
يحيى : هيا انصرفى الآن إلى بيتك لعل الله أن يتوب عليك .
المجدلية : حباً وكرامة . سأعود الآن إلى بيتى .. بجوار الهيكل فى أورشليم ... آخر بيت على شمالك وأنت خارج من الهيكل !

(فى أثناء الحوار السابق كان إبليس وشيطاناه يتهللون كلما تكلمت المجدلية ويكتئبون كلما تكلم يحيى)

الثانى : ما أبرعها ! لم تنصرف حتى رسمت له طريق بيتها !

الأول : ما زالت تطمع فيه بعد كل ما سمعت منه .

إبليس : صائدة بارعة حقاً ولكن الصيد كان أشد منها قوة . حقاً لو كان فى يحيى هذا مطمع لظفرت به هذه المجدلية اللعوب .

يحيى : يا قوم ما لى أراكم واقفين ؟ ألا تريدون أن أطهركم ؟

صوت : بعد هذه المجدلية وأنت تعلم أنها من بنات الفجور ؟

يحيى : ويحكم إنها لذلك أحوج إلى الطهارة من غيرها .

صوت آخر : وهذا الكنعانى الذى طهرته الساعة ؟

يحيى : إنه جاء قبلكم .

الصوت : ما كان لك أن تطّهره ألبتة . إنه ليس منا ... ليس من بنى إسرائيل .

يحيى : (**يعلو صوته غضباً**) هذا الكنعانى المؤمن خير منكم ؟

أصوات : هذا خروج على شريعة موسى ! خروج على الشريعة !

يحيى : يا أولاد الأفاعى ما خرج على شريعة موسى إلا أنتم ! أوَقد غركم أنكم تنتمون إلى إبراهيم ؟ اسمعوها كلمة منى مجلجلة : إن الله لقادر أن يخرج من هذه الحجارة أبناءً بررةً لإبراهيم !

أصوات : إذن لا نؤمن لك ولا نقبل هذه البدعة التى اخترعتها .

يحيى : (**يشتد غضبه**) إذن فاغربوا من وجهى . لقد كره الله أن يجعل لكم حظا فى ملكوت السماء .

الأصوات : ملكوت السماء لا يدخله غير بنى إسرائيل !

يحيى : يا أولاد الأفاعى لن تدخلوا ملكوت السماء حتى يدخل الجمل فى سمِّ الخياط .

إبليس : (**للشيطان الأول**) قد انفضوا عنه فاذهب إليه الآن والتمس منه أن يطهرك .

الأول : (**مرتاعا**) يطهرنى ؟

إبليس : لا تخف . إن يكن صادقا فإنه سيعرفك ، وإلا فلا ضرر من الماء الذى يرشك به . (**يخرج الشيطان الأول**)

يحيى : أولاد الأفاعى ! ألا إن الفأس قد بلغتْ رأس الشجرة فأيمُّا شجرة لا تجود بثمر طيب فلتُقطعنَّ ولتُلقيَنَّ فى النار !

الشيطان : رويدك أيها السيد !

يحيى : من ؟ ماذا جاء بك ؟

الشيطان : جئت إليك لتطهرنى .

يحيى : ابتعد عنى أيها الرجز .

الشيطان : ألا تطهرنى مثلما طهرت الآخرين ؟

يحيى : لو غسلتك ببحار الدنيا وأنهارها ما طهرت من رجزك . ابتعد عنى .

إبليس : (**يتوجه إلى حافة يمين المسرح**) يا يحيى ! يحيى !

يحيى : ماذا تريد ؟

إبليس : ما منعك أن تطهر هذا المخلوق الواقف بين يديك ؟

يحيى : إنه شيطان لا يطهر أبدا .

إبليس : إن عجزت عن تطهيره فأنت عن تطهير بنى إسرائيل أعجز !

يحيى : لست أنا الذى يطهرهم . ذاك السيد المسيح الذى سيظهر عما قريب .

إبليس : إذن فما الذى تصنع ؟

يحيى : أنا أطهرهم الآن بالماء لأبشرهم بظهوره وأهيئهم لاستقباله ، ولكنه هو سيطهرهم بالروح القدس .

إبليس : وما هذا المسيح الذى تبشر به ؟

يحيى : رسول عظيم كموسى يهدى إلى الحق ، ويصلح ما أفسد الناس

من دين الله ، ويجدد الشريعة ، ويعلن الحقيقة ، ويكون وبالاً عليك وعلى أتباعك .

إبليس : أنا إله إسرائيل يا يحيى .

يحيى : بل أنت إبليس الرجيم .

إبليس : إذن فاعلم منى أن مثل موسى لن يظهر أبدا . لقد جعلت ذلك بقوتى وتدبيرى محالا .

يحيى : إن الله الذى بعث موسى لقادر أن يبعث مثله وأعظم منه .

إبليس : فى غير بنى إسرائيل .

يحيى : وفى بنى إسرائيل .

إبليس : غاب عنك يا مسكين أنى ظللت طوال هذه القرون منذ هلك موسى أبث روحى فيهم فهى اليوم تجرى فى كل صلب من أصلابهم .

يحيى : كلا لم يغب ذلك عنى . إنما أغسلهم بهذا الماء ليطهروا من بعض أدران روحك ووسواسك حتى يستعدوا لتلقى الهداية من ذلك المسيح القادم .

إبليس : أتعرفه أنت ؟

يحيى : كما أعرف نفسى . إنه من ذوى قرباى .

إبليس : تعنى ذلك الناصرى الذى اسمه عيسى ؟

يحيى : نعم هو ذاك .

إبليس : أرح نفسك من التبشير به فلن يكون رسولاً أبداً .

يحيى : إن الله لا يكذب وعده .

إبليس : وأنا لا أكذب وعدى . لقد أفسدت أصلاب بنى إسرائيل فلن يظهر من بينها نبى أبداً .

يحيى : هو ليس من صلب إسرائيلى .

إبليس : أليس ابن يوسف النجار ؟

يحيى : لا .

إبليس : فأبنُ من هو ؟

يحيى : ابن مريم بنت عمران .

إبليس : من أبوه ؟

يحيى : كلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم دون أب .

إبليس : هذا محال .

يحيى : ليس على الله محال . هو قادر على كل شيء .

إبليس : من غير أب ؟

يحيى : قد خلق آدم قبله من غير أب ولا أم .

إبليس : لكن ...

يحيى : لكن ماذا يا من أضلّه الله على علم ؟

إبليس : (**فى ارتجاف**) لا شيء يا يحيى لا شيء ...

يحيى : أوَقد ملأ الرعب قلبك ؟ غداً تصعق حين تظهر أنوار المسيح فتبدد ظلماتك !

إبليس : أصغ إلّى يا يحيى ... كفّ عن التبشيربه خيرا لك .

يحيى : أكف عن رسالتى من أجلك ؟

إبليس : لئن لم تنته لأغرينَّ بك قومك فليقتُلنّك !

يحيى : إن يقتلونى فلست خيراً من الرجل الصالح زكريا بن باراخيا إذ قتلوه بين الهيكل والمذبح .

إبليس : ليقتُلنّك قِتلةً أشنع .

يحيى : أيها اللعين ما خرجت لتبليغ الرسالة وأنا أخشى القتل .. يا ليتنى أقتل فى سبيلها فأكون فى زمرة الشهداء . (**يتبادل إبليس وشيطاناه النظر فى حيرة ووجوم ثم يتقهقرون فى**

يأس صوب يسار المسرح)

يحيى : (**يرتفع صوته مدويا من جديد**) أيها الناس .. هلموا أطهركم لتتوبوا إلى ربكم فقد أظلكم ملكوت السماء !

(ستار)

المنظر الثانى

جانب قفر من البرية لا يرى فيه غير نزر من الأعشاب الماحلة منتثرة هنا وهناك .

(يرفع الستار عن إبليس وشيطانيه واقفَين فى الجانب الأيسر من المسرح ينظرون صوب الجانب الأيمن)

الشيطان الأول : (**متضجرا**) إلى متى نرصد هذا الناصرى فى هذا المكان المقفر من البرية ؟

الشيطان الثانى : أربعين يوما قضيناها على هذه الحال لا نهدأ ولا نستريح !

الأول : ولا نعمل عملا مفيدا إلا أن ننتظر ونرصد !

إبليس : صبرا .. صبرا .

الثانى : ألا تخبرنا ماذا تريد أن تصنع معه ؟

إبليس : (**فى حدة**) قلت لكما مراراً أريد أن أختبره .

الأول : فماذا تنتظر ؟

الثانى : أجل ماذا تنتظر ؟

إبليس : ويلكما ألا تريان أنه لا يتكلم ؟

الأول : أبكم ؟

إبليس : صائم عن الطعام وعن الكلام .

الثانى : كلّمه لعله يجيبك .

إبليس : لن يجيب حتى يتم صيامه .

الثانى : جرّب .

إبليس : لا فائدة من التجربة .

الأول : ولا ضرر منها .

إبليس : لا أستطيع .

الاثنان : لا تستطيع ؟

إبليس : لا أجرؤ أن أكلمه وهو صائم حتى ينتهى من صومه .

الاثنان : ومتى ينتهى من صومه ؟

إبليس : لا أدرى .

الأول : ربما يبقى صائما أربعين يوماً أخرى .

الثانى : أو أكثر . يخيلُ إلى أن هذا الآدمى يأكل ويشرب من الهواء الذى يتنفّسه !

إبليس : (**محتدا**) كفى نقاشا . سأظل أرصده هنا ولو بقى أربعين سنة .

الاثنان : أربعين سنة ؟!

إبليس : إن ضقتما ذرعا فاذهبا عنى . سأستبدل بكما سواكما من جنودى .

الأول : كلا لا تفعل يا مولاى . قد أدنيتنا إليك فلا تقصنا عنك .

الثانى : (**يتطلع صوب اليمين**) انظر يا مولاى ! إنه يرفع شيئا إلى فمه .

الأول : يأكل !

الثانى : يرفع إداوته !

الأول : يشرب !

المسيح : (**يسمع صوته**) اللهم لك الحمد !

الثانى : اسمع ! إنه يتكلم !

إبليس : (**فرحاً**) الآن أستطيع أن أكلمه . (**يخطو خطوات نحو اليمين ثم يتراجع**)

الأول : ما خطبك يا مولاى ؟
إبليس : أخشى أن يتحقق قول يحيى فيه .
الأول : أتريد أن تعدل عن اختباره ؟
الثانى : بعد أن قضينا أربعين يوماً نرصده ؟
إبليس : كلا لا مناص من اختباره وليكن ما يكون . (**يتوجه صوب اليمين حتى يقف على حافته وخلفه شيطاناه**)
المسيح : (**صوته**) اللهم أعنى على هداية قومى !
إبليس : من هم قومك يا عيسى ؟
المسيح : أعوذ بالرحمن منك !
إبليس : عُذْ به منى ما شئت ولكن أجبنى : من هم قومك ؟
المسيح : قومى هم قومى .
إبليس : تعنى بنى إسرائيل ؟
المسيح : نعم .
إبليس : (**يظهر فى وجهه الارتياح**) أنت ابن يوسف النجّار ؟
المسيح : لا .. أنا ربيبه .
إبليس : (**يكتئب قليلا**) فمن أبوك ؟
المسيح : أنا روح من الله وكلمته ألقاها إلى أمى مريم .
إبليس : (**يربد وجهه**) من غير أب ؟
المسيح : سبحانه هو القادر على كل شىء .
إبليس : إن يكن حقاً ما تقول فادع ربك أن يحيل هذه الصخور إلى خبز .
المسيح : فيم ؟
إبليس : أنت جائع بعد وما عندك خبز .
المسيح : ليس بالخبز وحده يعيش الإنسان .

إبليس : فبم يعيش ؟
المسيح : بكل كلمة تخرج من فم الله .
إبليس : أرسول أنت كموسى ؟
المسيح : نعم .
إبليس : إلى بنى إسرائيل ؟
المسيح : نعم :
إبليس : وحدهم ؟
المسيح : لا .
إبليس : فاترك بنى إسرائيل وادعُ غيرهم من الأمم .
المسيح : أمرت أن أدعو بنى إسرائيل ليكونوا هداة لغيرهم .
إبليس : هل تحب أن يسمع لك بنو إسرائيل ويطيعوك ؟
المسيح : هذا ما أرجو الله ربى أن يعيننى عليه .
إبليس : ربك لا يستطيع أن يعينك .
المسيح : تعالى الله عما تقول .
إبليس : أنا أستطيع إن شئت .
المسيح : كلا لا أريد عونك أيها الشيطان الرجيم .
إبليس : لا تعجل . سأريك ممالك الدنيا كلها . انظر ! هذه أرض مصر وهذا ذهبها ! انظر ! هذه أرض فارس وهذا ذهبها ! انظر ! هذه روما وهذا ذهبها ! انظر !
المسيح : (**فى حدة**) حسبك ! لا أريد أن ترينى شيئاً .
إبليس : سأعطيك هذه الممالك وغيرها . سأعطيك ممالك الدنيا كلها .
المسيح : لا أرب لى فيها .

إبليس : أليس لك فى هداية بنى إسرائيل من أرب ؟
المسيح : بلى .
إبليس : فلن يؤمنوا لك إلا إذا كان فى يديك ذهب الأرض .
المسيح : ويلك إنما بعثت لأهديهم لا لأضلهم .
إبليس : الذهب معبودهم فاهدهم إليه .
المسيح : الذهب فتنتهم وسأثنيهم عنه .
إبليس : لن يطيعوك أبدا ولن يتخلوا عن عبادته .
المسيح : ما علىّ إلا البلاغ ولست عليهم بمسيطر .
إبليس : ستكون مسيطرا عليهم لو تطيعنى !
المسيح : قبحاًلك . تدعونى وأنت تعلم أنى رسول الله إلى طاعتك وأنا أعلم أنك إبليس ؟
إبليس : إلى أين يا عيسى ؟
عيسى : إلى حيث أمرنى ربى أن أدعو الناس إليه .
إبليس : انتظر يا عيسى فلم أتمّ حديثى بعد معك .
عيسى : (**يبتعد صوته**) ليس بينى وبينك من حديث !
إبليس : انتظر !
عيسى : (**يبتعد صوته أكثر**) كلا لن أنتظر . انتظر أنت عذاب الله وخزيه يوم الدين !
إبليس : (**يقف مبهوتا**) نبىّ حقاً ! نبىّ جديد ! (**يتنهد**) أواه قتلنا يحيى وحملت سالومى رأسه فى طبق ولكن كلامه بقى حيّا !
الأول : أو قد آمنت بما قال يحيى عنه ؟
إبليس : بعد هذه التجربة لم يبق من شك فى صدق ما قال .
الثانى : إذن فربّ العزة قد مكر بك !
إبليس : أجل خرق النواميس .
الأول : هذا ليس من العدل .

إبليس : لو كان ثمَّتَ عدل لا نتصرت عليه من زمن بعيد !

الثانى : فاخرق أنت النواميس مثله .

الأول : أجل هذا من حقك .

إبليس : لو كان ذلك فى وسعى لما انتظرت حتى تشيرا به على . لا يقدر على خرق النواميس إلا الذى خلق النواميس .

الثانى : ناو أن تسلم بالهزيمة ؟

إبليس : قبحاً لك ! أتريد منى أن أسلّم بالهزيمة ؟

الثانى : كلا يا مولاى .. مجرد سؤال .

إبليس : مجرد السؤال هنا يتضمن الاقتراح .

الثانى : ما الحيلة يا مولاى ؟ نريد أن نطمئن .

الأول : أجل يا مولاى نريد أن نطمئن .

إبليس : الإرادة قوة لا حدّ لها وهى عندى ولا يستطيع هو أن يجرّدنى منها ، والحرية فى الفكر والعمل وهى أيضاً عندى ولا يستطيع أن يسلبها منى .

الأول : لكن هل تغنى الإرادة والحرية شيئاً أمام من يخرق النواميس كلما شاء له هواه ؟

إبليس : هذا دليل الوهن منه . لو كان قويا حقاً لما لجأ معى إلى هذه الوسيلة . لو لم يخش من انتصارى عليه لما اضطر إلى خرق النواميس التى وضعها هو بنفسه .

الأول : استدلال سليم واستنتاج حكيم .

الثانى : (**يتشجع قليلا**) لكنى أخشى أن تكون النتيجة فى الحالين واحدة .

إبليس : ماذا تعني ؟

الثانى : (**خائفاً**) لا شيء يا مولاى لا شيء .

إبليس : (**فى حدة**) بل قل ماذا تعنى ؟

الثانى : ولى الأمان من غضبك ؟

إبليس : يالك من غبى ! أنا أول من دعا إلى حرية الإرادة والفكر فى الخليقة كلها فكيف أغضب من ذلك ؟

الثانى : قد غضبت آنفا منى .

إبليس : ما غضبت يا غبى من رأى حُرٍّ لك . غضبت من اقتراحك التسليم بالهزيمة . قل الآن : ماذا عنيت بما قلت ؟

الأول : لا تخف فقد أعطاك الأمان من غضبه .

الثانى : إذا ظللت تعتمد على حريتك وإرادتك وظل هو يخرق الناموس بعد الناموس فالنتيجة أنه هو الذى سينتصر لا محالة .

إبليس : كلا لأصبرنّ له حتى يخرق جميع النواميس التى وضعها فلا يبقى منها شيء فلأغلبنه حينئذ بإرادتى وحريتى !

الأول : بديع ! بديع ! الآن يحق لنا أن نطمئن .

الثانى : أجل .. الآن نستطيع أن نطمئن .

إبليس : كلا يجب ألا تخلدا إلى الطمأنينة .

الأثنان : فيم يا مولاى ؟

إبليس : الطمأنينة ضعف والقلق قوة ، يجب أن نعيش دائما فى قلق.هذا جبار جديد قد ظهر فعلينا أن نتهيأ معه لكفاح طويل .

الأول : واأسفاه . كنا نظن أننا استرحنا من كفاح هؤلاء الجبابرة بعد ما أيقنَّا أن كل صلب من أصلاب بنى إسرائيل قد تلوث وفسد .

الثانى : فإذا رب العزة يكيد لنا هذا الكيد العظيم ويحاربنا بسلاح لا نملكه !

إبليس : لا بأس . لن نيأس من النصر أبدا . لقد صارعنى موسى فهزمته حتى مات كمدا فى الجبل . وجاء داود يتحدانى إذ أراد

أن ينشر التوحيد في الشعوب الأخرى وتبعه سليمان من بعده فهل استطاعا أن يغلباني ؟ ألم أغْرِ بهما شعبي المختار فنسبوا إلى الأول الزنا وإلى الثاني الشرك بربّه والسجود لأوثان الأميين ؟

الثاني : لكن هذا الرسول الجديد بدعٌ في الرسل إذ أوجده رب العزة من غير أب فخرق النواميس وجعله آية للعالمين !

الأول : أجل .. ليكونن أشد علينا من كل من سبقوه من الرسل !

إبليس : ليكن ما يكون فلن يضعف إيماني بنفسي ولا ثقتي بالانتصار في النهاية . لأرمينه بسهم قاتل !

الاثنان : كيف ؟

إبليس : أراد أن يجعله آية للناس فلأ جعلنّه فتنة للناس ! ولأغرينّ به شعبي المختار فليرمُنَّ أمه بالفاحشة !

الأثنان : مرحى مرحى ! لكأنما أمكنك رب العزة من مقتله .

إبليس : (**في حقد وتشف**) كيداً بكيد والبادئ أظلم !

(ستار)

المنظر الثالث

(فى بيت قيافا رئيس الكهنة . حجرة واسعة فاخرة . أريكة فى الصدر . وعلى الجانبين تقوم خزانات مفتوحة مملوءة بالكتب فى مجلدات كبيرة .)

(يرفع الستار فنرى قيافا وحنانيا جالسين على الأريكة وفى يد قيافا كتاب يتصفحه تحت ضوء القنديل القريب منه)

قيافا : (**يطبق الكتاب**) لا فائدة . لم أستطع أن أجد نصًّا فى الشريعة يجيز لنا أن نحكم عليه بالقتل .

حنانيا : وقوله إنه ابن الله ؟

قيافا : إنما يقولها على سبيل المجاز ، ولا يقصرها على نفسه فهو يطلقها على الجميع باعتبار أن الله مصدر الخلق .

حنانيا : يمكن أن تأخذ عليه أنه يقصرها على بنى إسرائيل .

قيافا : هذا مأخذ ضعيف فالله لم يخلق بنى إسرائيل وحدهم .

حنانيا : لكن الله اختارهم وفضّلهم .

قيافا : فعيسى لم يقل غير ذلك .

حنانيا : فلنأخذ عليه نقضه لشريعة موسى .

قيافا : هذا أقوى مأخذ ، ولكن ليس فى استطاعة مجلسنا أن يقيم عليه الحجة فى ذلك فهو ضليع فى الشريعة متمكن منها يستطيع أن يؤوّل أقواله طبقاً لها فيجعل النص الذى نحتج به عليه حجة له علينا .

حنانيا : صدقت . ليس فى أعضاء المجلس من يكافئه قوة حجة وحسن

بيان .

قيافا : وأسوأ من ذلك أن ليس له ما يخاف عليه من مال أو منصب أو مصالح .

حنانيا : ونحن نخشى على جاهنا ومناصبنا ومصالحنا .

قيافا : هذه هى المشكلة . كلما فكرنا فى أمر هذا الناصرى المقيت درنا فى هذه الحلقة نفسها حتى نصل إلى حيث بدأنا دون أن ننتهى إلى نتيجة !

حنانيا : والوقت يمر سريعاً وأتباعه يكثرون فى كل مكان ، وخطره يستفحل كل يوم . وكأنى به وبأتباعه من الرعاع يثبون علينا وينتزعون من أيدينا السلطة .

قيافا : ولا ضير يومئذ على حكامنا الرومان أن يعترفوا بهم ما دام الأمر لا يمس حكم قيصر فى شىء .

حنانيا : ها نحن أولاء رجعنا إلى قيصر مرة أخرى . فلنستعن عليه بحكّام قيصر فإن ذلك هو السبيل الوحيد .

قيافا : أنسيت يا سيدى أننى قد كلمت بيلاطس فى ذلك فكان جوابه لى : هذا أمر يخصكم معشر اليهود ولا شأن لنا به ؟

حنانيا : يجب أن نلح عليه مرة بعد مرة ونجسّم له خطر هذه الدعوة الجديدة على حكم قيصر .

قيافا : لا تنس أن للرومان عيوناً فى كل مكان ينقلون إليهم الأخبار يوماً بيوم ، فلو آنسوا أىّ خطر على حكمهم لبادروا إلى قمعه بكل شدة .

حنانيا : (فى ضيق) فابقوا إذن حتى تلتهمكم النار وأنتم نائمون !

قيافا : اطمئن يا سيدى فإن الذى فى عصمته ابنتك ليس بنائم .

حنانيا : تعنى اتكالك على تلك المومس المجدلية ؟

قيافا : إنها أذكى وأبرع من كثير من شيوخ مجلسنا .

حنانيا : آه لو تعلم ابنتى أنك ما زلت بها على صلة !

قيافا : أقسم لك ما عاد بينى وبينها اليوم غير صلة العمل على الكيد لهذا الناصرى وتلويث سمعته بين الناس .

حنانيا : سمعته هو أم سمعتك ؟

قيافا : أوه ... ما زلت تنظر إلى الأمر بعين ابنتك !

حنانيا : نعم ... يجب أن تعلم أن رِفقة غالية عندى ... ليس لى فى الدنيا غيرها . ولو كنت أعلم أنك ...

قيافا : حسبك ! إن رِفقة تفهمنى جيداً ولا أسمح لك أن تدخل بينى وبينها .

حنانيا : (**غضباً**) لا تسمح لى ! ماذا تظن نفسك ؟

قيافا : أنا زوجها وهى زوجتى !

حنانيا : وأنا أبوها وهى ابنتى !

قيافا : اسكت ! لاتدعنى أفشى لك سِراً لا تحب سماعه .

حنانيا : ماذا تعنى ؟

قيافا : ألم تكن لك أنت خلائل من الإسرائيليات وغير الإسرائيليات تخلو بهن فى نفس المخدع الذى تنام فيه أم رِفقة معك حتى ماتت كمداً من جرائرك ؟

حنانيا : صه ! ممن سمعت هذا ويلك ؟

قيافا : من رِفقة نفسها .

حنانيا : الملعونة ! تستحق والله أن تلقى المذلّة على يديك ! هات إذن حدثنى عن خليلتك المجدلية !

قيافا : (**يتنهد**) خليلتى ! آه ليتها بقيت كذلك ! إنها اليوم لم تعد تقبل أحداً من خلانها منذ هامت بحب عيسى الناصرى .

حنانيا : هامت بحبه !

قيافا : أصبح قلبها وقفا عليه .

حنانيا : إنى لا أفهم شيئاً مما تقول . كيف تريد منها أن تكيد له وهى تحبه هذا الحب ؟

قيافا : لذلك حديث يطول .

حنانيا : يجب أن أسمعه .. اقصصه علىّ .

قيافا : كان ذلك فى الشتاء الماضى إذ خطر لى أن خير ما نكيد به للناصرى أن تسلّط عليه غانية فاتنة . ففاتحت المجدلية فى ذلك . ولشدَ ما دهشت إذ وجدت لديها ميلا شديداً إلى تنفيذ هذه المكيدة كأنما كانت قد عقدت العزم عليها من قبل .

حنانيا : هيه .. كان هذا إذن سبب اتصالها به ؟

قيافا : نعم .. صارت تلاحقه منذ ذلك اليوم وتظهر فى مجالسه وتتبعه فى جولاته .

حنانيا : وهل استطاعت ... ... ؟

قيافا : لا لم تستطع أن توقعه فى غرامها ووقعت هى فى غرامه !

حنانيا : إذن أخفقت الخطة !

قيافا : كلا بل بدأت خطتى حينئذ .

حنانيا : كيف ؟

قيافا : أخذت ألقى فى روعها أن الدعوة التى يقوم بها هى الحائلة بينها وبينه ، فهو مشغول بها عن كل شىء . وأنها كذلك تهدد حياته بما تثير عليه من سخط أبناء قومه وغضب الحكـام الرومان ، فلو أمكن صرفه عنها لربما استجاب لحبها فعاش معها فى أمن وسلام . قالت كيف السبيل إلى ذلك ؟ قلت لا يوجد غير سبيل واحد .

حنانيا : وما هو ؟

قيافا : تلويث سمعته حتى ينفض أتباعه عنه ، وحينئذ يتلفت فلا يجد سكناً أحنى من حجرها عليه .

حنانيا : لكن كيف تلوثون سمعته ؟

قيافا : هذا ما اتفقت معها على أن تقوم به الليلة .

حنانيا : كيف ؟

قيافا : اتفقنا على أن أبعث إليها الليلة شخصاً يشبه عيسى الناصرى فى قامته وهيئته فيزورها فى بيتها وهو ملثم فتدخله فى مخدعها حتى إذا خرج منه لينصرف رآه من عندها من العُشّاق والسُّمار فتزعم لهم أنه عيسى الناصرى .

حنانيا : (**يغلبه الفرح فيوسع قيافا لثما وتقبيلا**) بوركت يا ولدى ! خطة والله رائعة !

قيافا : رويدك حتى تسمع البقية .

حنانيا : هات ؟

قيافا : لا ريب أنك قد سمعت بما حدث أمس فى بيت سمعان الفريسىّ حين صبت المجدلية حُقاً كبيراً من الطيب على رجلى الناصرى ثم حلَّت شعرها فأخذت تجففهما به ؟

حنانيا : هذا حديث المدينة منذ أمس .

قيافا : فاعلم أن ذلك جزء من الخطة !

حنانيا : (**مدهوشاً**) جزء من الخطة ؟

قيافا : لئلا يبقى عند الناس شك فى صدق التهمة إذا سمعوها .

حنانيا : بديع ! بديع ! (**يقبله مرة ثانية**) الآن أشهد أنك منقذ إسرائيل !

قيافا : لا تبالغ فى إطرائى فإنى لم أرسم هذه الخطة وحدى بل اشترك

معى فيها يهوذا الأسخريوطى .

جنانيا : صاحب الناصرى ؟

قيافا : فى الظاهر . وصاحبنا فى الباطن . إنه هو الذى ذهب الليلة إلى المجدلية ليمثل دور الناصرى .

حنانيا : بديع ! بديع ! حقاً إنه يشبهه تماما فى قامته ومشيته (**يقرع الباب الخارجى فينهض قيافا فى عجل**)

قيافا : لعله هو قد عاد من عندها ! (**يخرج ثم يعود ومعه يهوذا . يصافح يهوذا حنانيا فى شىء من الحرج ثم يجلس**)

قيافا : هات ما عندك يا يهوذا . لا تخف . قد حدثت عمى حنانيا بكل شىء .

حنانيا : بوركت يا يهوذا . غداً يعرف قومنا أنك أنقذتهم من خطر كبير .

يهوذا : (**يتغير وجهه ولا يتكلم**) .... ؟

قيافا : ما خطبك ؟ تكلم . ماذا حدث ؟

يهوذا : غدرت بنا المجدلية .

قيافا : غدرت ؟ كيف ؟

يهوذا : نقضت الاتفاق الذى بينها وبينك .

قيافا : ردتك من الباب و لم تفتح لك ؟

يهوذا : فتحت لى وأدخلتنى ، ولكن البيت كان خاليا ليس فيه أحد من ضيوفها ولا ندمائها .

قيافا : فماذا قالت لك ؟ اعتذرت لعدم حضورهم !

يهوذا : اعتذرت ! هذه لقيتنى لقاء غير جميل وقالت لى : ارجع إلى من أرسلوك فقل لهم : إن المجدلية لن تخون عيسى الناصرى ولن تسىء إلى سمعته ولو أعطيتموها ملء الأرض ذهبا . ثم

حاولت أن تنزع اللثام من وجهى فتملصت منها وخرجت هاربا .

قيافا : ويل للفاجرة لقد أخذت منى عقداً من اللؤلؤ وسوارا من الذهب !

حنانيا : عقداً من اللؤلؤ وسوارا من الذهب ! إياك يا قيافا أن تكون أخذتهما من حلىّ رِفقة !

قيافا : أف ! ترانا فى هذا المأزق فلا يعنيك غير حلىّ ابنتك !

حنانيا : أنا دفعت ثمنهما من حُر مالى فمن حقى أن أسأل . أما المأزق فأنت الذى أوقعتنا فيه بسوء تدبيرك .

قيافا : منذ قليل سميتنى منقذ إسرائيل !

حنانيا : ذاك لو نجح تدبيرك لكنه لم ينجح .

قيافا : وما ذنبى أنا ؟

حنانيا : لا تحاول أن تداورنى عن سؤالى . من أين أخذت العقد والسوار ؟

قيافا : اشتريتهما من السوق .

حنانيا : أنا داخل عند رفقة لأتفقد حليها (**يهم بالنهوض**)

قيافا : (**يمنعه**) قد أوت الآن إلى فراشها فلا تزعجها . سلْها غداً إن شئت . (**يسمع قرع على الباب الخارجى وصوت امرأة تنادى**)

الصوت : يا سيد قيافا ! يا سيد قيافا !

يهوذا : وى ! هذا صوت المجدلية !

قيافا : ويلها ماذا جاء بها الساعة ؟ (**يذهب ليفتح لها**)

يهوذا : (**يستوقفه**) كلا لا تفتح لها . لا ينبغى أن ترانى هنا فتعرفنى وتكشف أمرى للناصرى .

الصوت : يا سيد قيافا !

قيافا : يجب أن أفتح لها وإلأ فضحتنى صوتها أمام الجيران

يهوذا : وماذا أصنع ؟

قيافا : اختبئ أنت (**يخرج منطلقاً**)

يهوذا : أرشدنى يا سيد حنانيا أين أختبئ ؟

حنانيا : اختبئ هناك خلف تلك الخزانة ! (**يختبئ يهوذا خلف إحدى الخزائن فى أدنى يمين المسرح بحيث لا يراه من فى صدر المسرح ولكن يراه المتفرجون واقفاً ملتصقاً بالخزانة فى خوف**)

(**يعود قيافا وتدخل المجدلية مرتدية معطفاً أسود سابغا وقد حسرت خمارها الأسود عن وجهها فبدا آية فى الحسن والإشراق**)

قيافا : (**فى توسل**) أرجوك يا مريم . لا تثيرى بيننا فضيحة !

المجدلية : (**فى سخرية**) فى بيت رئيس الكهنة ! بيت الدين والتقوى أليس كذلك ؟ (**تتلفت حولها**) .

قيافا : (**يكظم غيظه**) هذا عمى حنانيا .

المجدلية : أعرفه ! شيخ النفاق والرياء !

حنانيا : (**يتغير وجهه دون أن يجيب**) ... ؟

قيافا : تفضلى ... اجلسى .

المجدلية : أنا امرأة خاطئة لا ينبغى أن ألوّث هذا الحرم المقدّس ! أين الدّيوث الذى بعثته إلىّ ؟ ألم يعد إليك ؟ (**يرتجف يهوذا خوفاً**)

قيافا : بلى ... قد عاد منذ قليل ثم انصرف .

المجدلية : أريد أن أعرف من هو . أخبرنى من هو ؟

قيانا : لا أستطيع .

المجدلية : لِمَه ؟

قيانا : أخذ عليّ عهداً ألاّ أبوح باسمه .

المجدلية : أهو من أتباع عيسى الناصرى ؟ (**يرتجف يهوذا ويكاد يغشى عليه**)

قيافا : سؤال عجيب ! أتظنين أن فى أتباعه من يرضى أن يخونه ؟

المجدلية : هذا ما حيّرنى !

قيافا : لكن لماذا تسألين عنه ؟ ألم تجديه صالحاً للدور المطلوب ؟

المجدلية : صالحاً جداً . هل أمرته أيضاً أن يراودنى عن نفسى ؟ (**يرتجف يهوذا**)

قيافا : معاذ الله . ما بعثته إلاّ ليقوم بما اتفقنا عليه .

المجدلية : كلكم فاسق وكلكم يجهل أننى منذ عرفت السيد المسيح قد تبت عن الفجور وتركته لكم ! خذ العقد الذى أعطيتنيه وخذ السوار(**تحلهما عن جيدها ومعصمها فترميهما له**) (**يهم قيافا بالتقاط العقد والسوار فيسبقه إليهما حنانيا ويأخذهما ويقلبهما فى يده وينظر إلى قيافا نظرة ذات معنى**)

قيافا : إن رأيت هذا قليلا يا مريم فإنى على استعداد أن أزيدك . سأعطيك كل ما تريدين .

المجدلية : كلا لن أبيع سيدى وحبيبى أبداً .

قيافا : من الذى أراد منك أن تبيعيه ؟ إنما أردنا منك أن تشتريه !

المجدلية : ما لا يصح بيعه لا يصح شراؤه .

قيافا : ليستجيب لحبك فيكون لك وتعيشى معه فى أمن وسلام .

المجدلية : كلا لن أصده عن رسالة ربه لأستأثر بحبه .

قيافا : إذن فلن تظفرى بحبه أبداً .

المجدلية : قد ظفرت بما هو أعظم من ذلك ... ظفرت بالتوبة ... ظفرت بالمغفرة .. ظفرت بالإيمان .. ظفرت بملكوت السماء !

حنانيا : آمنت بدعواه الكاذبة ؟!

المجدلية : أنتم الكذبة وهو الصادق الأمين !

حنانيا : قد كفرت إذن بدين إسرائيل .

المجدلية : يا شيخ النفاق إن كان دين إسرائيل هو ما أنتم عليه فإنى كفرت به وآمنت بالدين الحق دين السيد المسيح الذى فتح لى باب التوبة من آثامى وخطاياى .

حنانيا : آثامك وخطاياك أهون من أن تفقدى إيمانك بإله إسرائيل !

المجدلية : كذبت ! ما فقدت إيمانى بإله إسرائيل . إله إسرائيل هو الذى بعث إلينا هذا النبى الجديد كما بعث موسى من قبل .

حنانيا : إبليس هو الذى بعثه لا إله إسرائيل !

المجدلية : بل إله إسرائيل .

حنانيا : إبليس !

المجدلية : إله إسرائيل !

حنانيا : إبليس !

المجدلية : إبليس هو الذى استحوذ عليكم يافجرة . إله إسرائيل برىء منكم !

حنانيا : إله إسرائيل برىء منك ومن صاحبك الناصرى !

المجدلية : هلم إذن نتباهل فنجعل لعنة إله إسرائيل على الكافر منا به !

حنانيا : أتريدين منا أن نباهل فاجرة ؟

قيافا : دعى عيسى الناصرى يُباهلنا .

المجدلية : الرسول الأمين لا يباهل الفجرة . ولكن باهلونى أنا فلستم خيراً منى . إن كنت فاجرة فأنتم فجرة . باهلونى إن كنتم

صادقين !

قيافا : إننا نخاف عليك يا مريم من عقبى المباهلة .

المجدلية : بل تخافون على أنفسكم لأنكم تعلمون أنكم كذبة ! إنى أتحدّاكم !

خنانيا : (**يستشيط غضباً**) إذن فليكن ما تريدين ! (**يسمع صوت يملأ الحجرة كلها ويتردد من كل ركن فيها دون أن يرى صاحبه**)

الصوت : كلا .. كلا لا تتباهلوا فتصيبكم القارعة ! أنا إله إسرائيل ! أنا إله إسرائيل ! (**يبهت الحاضرون ويستولى عليهم الخوف والرهبة**)

المجدلية : (**تستعيد رباطة جأشها قليلا فتتمتم**) سبّوح قدّوس !

الصوت : سأتجلى لكم الآن كما تجليت لموسى من قبل . (**يطرق قيافا وحنانيا وجلين كأنما لا يريدان أن يرياه . وكذلك يفعل يهوذا ولكن المجدلية يستنير وجهها ويتهلل فى إيمان وخشوع**)

المجدلية : (**تتمتم**) سبوح قدّوس ! (**يظهر إبليس وشيطاناه أمام الباب فيخر قيافا وحنانيا ساجدين . وكذلك يفعل يهوذا من خلفهم . وتبقى المجدلية شاخصة تنظر إليه**)

إبليس : يا ابنة آدم ما بالك لا تسجدين ؟ (**يغلبها الخوف فتسجد مرغمة**)

الجميع : (**يرددون وهم ساجدون**) سبّوح قدوس !

إبليس : (**يلتفت إلى شيطانيه كأنه يتبادل معهما الرأى ثم يعود إلى وضعه الأول**) ارفعوا رؤوسكم الآن . لا تخافوا إنما أنتم أبنائى وأنا لكم أب شفيق . (**يرفع الجميع رؤوسهم وهم جالسون**

على الأرض)

إبليس : فيم يا أبنائى تختلفون وعلام تتباهلون ؟ ألم يكفكم شريعتى التى أنزلتها على موسى فأنتم لها تدرسون وبها تحكمون وتعملون ؟

حنانيا : بلى يا إلهنا .. تكفينا شريعة موسى لا نريد بها بديلا .

قيافا : ونحن بها نحكم ونعمل ما استطعنا .

إبليس : أفئذا جاءكم دَجال يزعم أنه مثل موسى ويريد أن ينقض شريعته أو يحرّف كلمها عن مواضعه طفقتم به تؤمنون وبى تكفرون أو تمترون ؟

قيافا : كلا ما كفرنا بك يا إله إسرائيل ولا امترينا فيك .

إبليس : قد كفر بى منكم جمع كثير .

حنانيا : هؤلاء الذين أضلهم النّاصرىّ ونحن منهم براء .

قيافا : وإنما أكثرهم من الجهلة والغوغاء . (**تهم المجدلية أن تقول شيئاً فلا تستطيع**)

إبليس : ويلكم ألستم من حفظة دينى وشريعتى ؟

الاثنان : بلى .

إبليس : فهلا حميتم شعب إسرائيل من الأنبياء الكذبة ؟

قياقا : لقد حاولنا ذلك يا مولانا ولكنه غلبنا عليهم بالآيات التى يظهرها لهم ويزعم أنها من عندك .

إبليس : وصدقتم أنها من عندى ؟

جنانيا : كلا بل قلنا إنها سحر من عند إبليس ليضلّ بها بنى إسرائيل .

إبليس : فما جزاء الساحر فى شريعتى ؟

الإثنان : القتل .

المجدلية : (**تهب واقفة وتنفجر صائحة**) كلا ليس بساحر ! ليس بساحرا ! إنه نبى ! إنه رسول !

قيافا : لقد سحرك فأنت مسحورة .

المجدلية : بل هدانى إلى التوبة .

حنانيا : التوبة لا تكون بالكفر !

المجدلية : الكفر ما أنتم عليه .

قيافا : اسكتى ويلك ! تذكّرى أنك بين يدى إلّه إسرائيل .

المجدلية : (**تنظر إلى « إلّه إسرائيل » كأنها فى ريب من أمره**) كلا لن أسكت عن الحق أبداً .

إبليس : (**يظهر الحنان واللطف**) أتحبّينه يا مجدلية ؟

المجدلية : (**فى شيء من الطمأنينة**) نعم .

إبليس : حباً صادقاً ؟

المجدلية : (**كالحالمة**) بكل جارحة فىّ .. بكل قطرة من دمى وبكل نَفَس من أنفاسى !

إبليس : إذن ففى وسعك أن تنقذيه .

المجدلية : (**فرحة**) كيف ؟

إبليس : تصرفين الناس عنه فيخلو وجهه لك وحدك !

المجدلية : (**تبهت فتنظر إليه زائغة العينين**) أنت أيضاً ؟

إبليس : وتنقذين شعب إسرائيل من فتنته !

المجدلية : (**بصوت مرتعش**) كلا .. كلا ... كلا ... (**تتقهقر نحو الباب الخارجى**) قد عرفتك الساعة .. عرفتك .. عرفتك أنت .. أنت إبليس ! (**يضطرب القوم وتتغيروجوه إبليس وشيطانيه**)

(**ستار**)

المنظر الرابع

(بهو فى مقر الحاكم الرومانى بيلاطس . فى الصدر شرفة واسعة تطل على الميدان خارج القصر .فى الجانب الأيمن قفص من قضبان الحديد يوقف فيه المتهمـون.فى الجانب الأيسر بإزاء القفص كرسى فخم يجلس عليه الحاكم عند النظر فى القضايا) .

(فى أدنى يسار المسرح باب يؤدى إلى داخل القصر .)

(فى أدنى يمين المسرح باب يؤدى إلى الخارج .)

(يرفع الستار فإذا الوقت ليل وقنديلان يضيئان على ركنى البهو **ونرى يهوذا الأسخريوطى داخل القفص وهو يتململ فى قلق ويأس)**

يهوذا : **(يضع أصابع يديه فى أذنيه كأنه يريد أن يتّقى سماع شىء مكروه لا يريد سماعه)** الصوت يرن فى أذنى بعد ! آه ماذا أصنع ؟ **(يسمع صوت السيد المسيح كأنه آت من بعيد)**

الصوت : طوبى للفقراء فإن لهم ملكوت السماء .

طوبى للحزانى فإن لهم سيكون العزاء .

طوبى للمستضعفين فإنهم سيرثون الأرض .

طوبى للذين يجوعون فى الحق ويظمأون فإنهم سيشبعون ويرتوون .

طوبى للرحماء فإنهم سيُرحمون .

طوبى لذوى القلوب النقية فإنهم سيرون وجه الله .

طوبى لصانعى السلام فإنهم سيُدعون أبناء الله .

طوبى للذين يؤذَون فى سبيل الحق فإن لهم ملكوت السماء .

يهودا : (**يضيق ذرعا بما يسمع فيصيح متململا**) كلا لا أريد أن أوذَى فى الحق ولا أريد ملكوت السماء . أريد أن أعيش هنا فى هذه الدنيا .. على هذه الأرض ! (**يخرج صرة من داخل ثيابه**) هذا الذهب لمن أتركه إذا أنا فارقت هذه الحياة ! لا أريد أن أتركه لأحد .. يجب أن أعيش .

الصوت : لا يستطيع أحدكم أن يخلص لسيدين فلابد أن يحب أحدهما ويكره الآخر أو يعتز بأحدهما ويحتقر الآخر . إنكم لا تستطيعون أن تخلصوا لله وللذهب !

يهوذا : (**ثائرا**) كذب ! هراء ! لقد أشرب أسلافنا حب الذهب من قديم ولم يمنعهم ذلك من الله . الله فى السماء والذهب فى الأرض !

الصوت : اسألوا تُعطوا ما تسألون . واطلبوا تجدوا ما تطلبون . واقرعوا يُفتح لكم الباب الذى تقرعون !

يهوذا : (**يقرع باب القفص بكل قوته فى حركة عصبية**) أكذوبة ! أكذوبة ! هأنذا قرعت الباب فلم يفتح ! أكذوبة ! (**يدخل جنديان من الرومان مسرعين**)

الجنديان : (**فى غضب وقسوة**) ويلك ماذا تصنع ؟

يهوذا : (**فى جزع**) لا شىء .. قرعت الباب فلم يفتح .

الأول : أردت أن تفتحه بالقوة ؟

الثانى : ماذا تظن نفسك ؟ شمسون الجبّار ؟

يهوذا : (**يتمتم**) أكذوبة .. أكذوبة .. لقد أثبتُّ أنها أكذوبة !

الثانى : هذه أسطورتكم أنتم . ما يعنينا إن كانت حقيقة أو أكذوبة !
(تسمع خطى قادم)

الأول : **(يلتفت نحو الباب الأيمن)** ها هو ذا جلاديوس قد أقبل !**(يدخل جندى ثالث فيتوجه الاثنان نحوه)**

الأول : أين كنت يا جلاديوس ؟ ماذا أخرك حتى الآن ؟

الثانى : تركتنا وحدنا مع هذا السجين اليهودى !

جلاديوس : **(ينظر إلى يهوذا فى القفص وإلى ما حوله)** عرّجت على أهلى وأولادى لأطمئن عليهم قبل أن أقضى بقية الليل هنا فى الحراسة .

الأول : كنا قلقين عليك خشية أن يمر علينا السيد المفتش فلا يجدك .
(يتوجه الثلاثة إلى أدنى اليسار فيجلسون على مقاعد صغيرة أمام الباب الأيسر)

جلاديوس : ما أحسب المفتش يجىء . هذه ليلة عيد عند اليهود !

الأول : اللعنة على هؤلاء اليهود . حتى فى ليلة عيدهم يتشاجرون ويتناحرون !

جلاديوس : أجل لولا سجينهم هذا لبتنا الليلة بين أولادنا هانئين .

الثانى : يزعمون أنه ثائر على حكم قيصر .

جلاديوس : كذَّابون . ما هو إلا نبى جديد من أنبيائهم يريد أن ينازعهم فى رياسة الكهنوت ولا شأن له بقيصر ولا بحكم قيصر .

الأول : هذا دأبهم كلما ضاقوا بمنافس لهم فى الرياسة الدينية اتهموه بالثورة على قيصر لنخلصهم نحن منه وليوهمونا فى نفس الوقت أنهم مخلصون لقيصر .

الثانى : سمعنا أنه يصنع الخوارق حتى لقد أحيا ميتا بعد ما دفن فى قبره

بيومين .

جلاديوس : لديهم حكايات كثيرة فى هذا الباب ينسبونها إلى أنبيائهم فعلام قبلوها من أولئك الأقدمين واعتبروها معجزات تدل على صدقهم وأنكروها على هذا الناصرى المسكين وقالوا إنه خطر على حكم قيصر ؟

الثانى : يقولون إنه ساحر أو مشعوذ .

جلاديوس : إن كان هذا ساحراً أو مشعوذاً فلا ريب أن السابقين كانوا مثله سحرة أو مشعوذين .

الأول : ثم ماذا نخشى على حكم قيصر من ساحر أو مشعوذ ؟

الثانى : يقولون إنه يفتن الناس بذلك ليلتفوا حوله فيثور بهم على الحكم .

جلاديوس : هذا كذب صريح . لقد كنت مكلفاً بمراقبته حينا من الزمن فوجدتهم ذات يوم يستدرجونه ليوقعوه فى هذا الفخ ، ولكنه أبطل كيدهم بجواب بارع ولم يتركهم حتى كشف لهم عن سوء قصدهم .

الثانى : كيف ؟

جلاديوس : سألوه أيّها المعلّم هل يجوز لنا أن ندفع الضريبة لقيصر ؟

الأول : سؤال عجيب !

جلاديوس : بل سؤال خبيث . أرادوا أن يحرجوه فإن أجاب نعم أغضب عامة الناس الذين يتذمرون من دفع الضريبة ، وإن قال : لا أثبتوا عليه التهمة بالتحريض على قيصر .

الاثنان : فكيف أجابهم ؟

جلاديوس : طلب منهم قطعة من النقود فلما أعطيت له رفعها فى يده

وسألهم وهو يقلّبها ظهراً وبطناً : لمن هذه الصورة ولمن هذا الاسم؟ قالوا لقيصر فقال: أعطوا إذن ما لله لله وما لقيصر لقيصر.

الأول : وأبلغت المسئولين بذلك ؟

جلاديوس : بالحرف .

الأول : إذن فلا خوف عليه من هذه المحاكمة . لا شك أن بيلاطس سيبرئه غداً ويطلق سراحه .

جلاديوس : إلاّ إذا آثر أن يتجنب إغضاب الكهنة ومعهم عامة الشعب (**يتثاءب**) .

الأول : ليس من العدل أن يدان ما دام مواليا لحكم قيصر (**يتثاءب**) .

الثانى : مواليا أو غير موال . يجب حسم المشكلة على أى حال. (**يتثاءب**) .

جلاديوس : ماذا ترون لو تناوبنا الحراسة بيننا . واحد يحرس واثنان يرقدان ؟

الأول : أو اثنان يحرسان وواحد يرقد .

جلاديوس : بل واحد يكفى . القفص مُقفَل والباب مُقفَل .هيا . أنا أحرس فى الأول وأنتما ترقدان .

الثانى : لكن ربما يحضر السيد المفتش .

جلاديوس : لا تخافا .. إن حضر أيقظتكما قبل أن أفتح له . (**ينهض الأول والثانى فيخرجان من الباب الأيسر**)

(**ينتظر جلاديوس هنيهة ثم ينهض ويدنو من القفص**)

جلاديوس : (**بصوت خافض**) أيها المعلم ..

يهوذا : لست أنا المعلم وإنما أنا ..

جلاديوس : (**يشير إلى فمه أن اسكت**) صه أصغ إلى ما أقول . سيحضر الساعة صديق لك فيطلق سراحك ، فاذهب إلى حيث لا تصل إليك أيدى أعدائك الكهنة .

يهوذا : لكن ...

جلاديوس : سنزعم للناس أنك اختفيت من القفص بمعجزة من معجزاتك التى تروى عنك .

يهوذا : لكن .. من ذلك الصديق ؟

جلاديوس : مريم المجدلية !

يهوذا : (**متمتما**) مريم المجدلية !

جلاديوس : إياك أن تحدث حركة أو صوتا .. أفهمت ؟

يهوذا : نعم .

(يتوجه جلاديوس إلى الباب الأيسر فيتصنت كأنما يريد أن يستوثق من نوم زميليه ثم يعمد إلى أحد القنديلين فيأخذه ويفتح الباب الأيمن ويحرك القنديل أمامه يمنة ويسرة ، ويهوذا يرقب حركاته فى دهش واهتمام ، ثم يعيد جلاديوس القنديل مكانه ويخرج من الباب الأيمن ويوصده خلفه)

يهوذا : (**تتنازعه عواطف مختلفة وهو يتمتم**) مريم المجدلية .. لا شك أنها تحسبنى عيسى الناصرى . كيف استطاعت أن تقنع هؤلاء الرومان ؟ اتصلت بأحد كبرائهم لا ريب فباعت له جسدها ! هكذا المرأة لا بأس عندها أن تخون حبيبها من أجل أن تنقذه (**تدركه روعة**) لكن ... لا لا لن تعرفنى لقد

سحرنى الناصرى فجعلنى على صورته .. حتى قيافا وحنانيا لم يعرفانى فأحرى ألا تعرفنى هى . (**يفتح الباب الأيمن فيدخل جلاديوس وخلفه رجل وامرأة : أما الرجل فيبد ومن زيّه أنه من القواد الرومان وهو ينظر إلى المرأة فى شغف.وأما هى فمريم المجدلية فى معطفها الأسود السابغ وقد حسرت نقابها فبدا وجهها الحزين فى ضوء القنديل آية فى الروعة**)

القائد : (**بصوت خافض**) أين مفتاح القفص ؟

جلاديوس : ها هو ذا يا سيدى القائد .

المجدلية : هاته لن يفتح لسيدى المعلم غيرى . (**تأخذ المفتاح من الجندى وتدنو من باب القفص لتفتحه ولكنها ترتد فجأة حين وقع نظرها على وجه يهوذا وتجمدت فى مكانها والمفتاح فى يدها**)

القائد : (**يدنو منها**) ما خطبك ؟ لم تستطيعى أن تفتحيه ؟

المجدلية : اتركنى يا سيدى اتركنى قليلا معه . (**ينتحى الضابط عنها إلى جهة جلاديوس الواقف أمام الباب الأيسر**)

المجدلية : (**تنظر إلى يهوذا فى شك وحيرة**) ... ؟

يهوذا : (**يرتجف أمام نظرات المجدلية**) افتحى لى يا مريم !

المجدلية : من تكون ؟

يهوذا : ألا تعرفينى ؟ أنا عيسى الناصرى .

المجدلية : كلا .. لست السيد المسيح !

يهوذا : (**فى اضطراب**) بلى أنا هو .. كيف لم تعرفينى ؟

المجدلية : قد عرفتك الساعة . أنت يهوذا الذى خان سيده . الحمد لله الذى جزاك شر جزاء (**بصوت خافض كأنها تحدث نفسها**) وعصمنى من بيع نفسى لهذا الرومانى !

يهوذا : (**يتوسل باكياً**) اغفرى لى يا مريم .. أنا يهوذا حقاً وقد ندمت وتبت . أطلقينى وسأكون مخلصاً لسيدنا المعلم .

المجدلية : هيهات يا خائن يا منافق . تريد أن تخرج لتدل عليه مرة ثانية !

يهوذا : (**يخرج الصرة من بين ثيابه**) خذى هذا الذهب يا مريم وأطلقينى .

المجدلية : بهذا الذهب بعْتَ سيد الناس أفتريد الآن أن تشترى به حياتك ؟

يهوذا : إذن فاشهدى غدا أننى لست السيد المسيح .

المجدلية : هيهات .. سأنوح عليك غداً مع النائحات والنائحين ! (**تلتفت إلى القائد**) هيا بنا ننصرف !

القائد : أواثقة أنت أنه ليس عيسى الناصرى؟

المجدلية : ألم تسمع اعترافه ؟ (**تعيد المفتاح لجلاديوس وتتوجه نحو الباب الأيمن**)

القائد : (**لجلاديوس**) استمع .. لا جئناك الليلة ولا رأيناك .

جلاديوس : لكنه يا سيدى سيفشى السر .

القائد : دعه يقل ما يشاء فلن يصدق كلامه أحد . (**يخرج خلف المجدلية ويوصد جلاديوس الباب**)

يهوذا : أيها الرومانى الطيب هل لك فى معروف صغير تسديه إلى ؟

جلاديوس : ماذا تريد ؟

يهوذا : اشهد غداً أننى يهوذا الأسخريوطى ولست عيسى الناصرى . قد عرفت أنت الحقيقة بنفسك .

جلاديوس : ويلك منذا يصدقنى إن فعلت ؟ سيحسبوننى مجنوناً .

يهوذا : (**يتهاوى فى يأس حتى يجلس على الأرض**) ما أشقانى وأعظم مصابى ! أنا عيسى الناصرى فى أعين من يريدون أن يصلبوه ، وأنا غيره فى أعين من يرويدن أن ينقذوه ! ترى لو نظرت فى

المرآة أىّ وجه أرى : وجه يهوذا الأسخريوطى أم وجه عيسى الناصرى !

جلاديوس : لا ريب أنك سترى فى المرآة وجه عيسى الناصرى !

يهوذا : (**يستوى واقفاً**) أتعرفه يا سيدى ؟

جلاديوس : معرفة جيدة . كنت مكلفاً بمراقبته حينا من الوقت .

يهوذا : وهذا الوجه الذى أحمله يشبه وجهه ؟

جلاديوس : هذا وجهه بالضبط !

يهوذا : تباًله .. سرق وجهى وأعطانى وجهه ! هو الآن يمشى بوجهى مطمئناً بين الناس يحسبونه يهوذا الأسخريوطى ، ويهوذا الأسخريوطى هنا فى هذا القفص ! (**يلطم وجهه بكفيه لطمات متتابعة فى حركة عصبية**) تباً لهذا الوجه ! لا أريد هذا الوجه !

جلاديوس : ماذا يفيدك هذا إلاّ أن تؤلم نفسك ؟

يهوذا : (**يكف عن اللطم**) صدقت يا سيدى .. الوجه له والألم لى ياليت أن الوجه لى والألم له ! (**ينتحب باكياً**) أين أنت يا إلّه إسرائيل ؟ كيف تركتنى لعيسى الناصرى يوقع بى هذا العذاب ؟ (**يظهر إبليس وشيطاناه أمام القفص فيراه يهوذا دون جلاديوس**)

يهوذا : سبوح قدوس !

إبليس : تجلّد يا يهوذا واصبر على ما أصابك .

يهوذا : كيف أتجلد يا إلّهى وغداً أموت ؟ إنى لا أريد أن أموت .. أريد أن أعيش .

إبليس : ستعيش يا يهوذا ستعيش !

يهوذا : ما بقيت أحمل هذا الوجه فلن أعيش . سيصلبوننى غداً

لا ريب . الكهنة والشيوخ والكتبة مصممون على قتلى . سمعت ذلك من قيافا وحنانيا بأذنىّ هاتين . أنقذنى يا إلّه إسرائيل . ارفع عني هذا الوجه وأعد إلىّ وجهى . لقد سحرنى الناصرى فأبطل سحره .

إبليس : (**كأنه يخاطب نفسه**) إنه يحاربنى بخرق النواميس . هذا ظلم صارخ ! هذا مناف للعدل !

يهوذا : يا ويلتا أوَ قد بلغ من قوة عيسى الناصرى أن تستجير أنت من ظلمه ؟

إبليس : لست من عيسى أستجير بل من إلّه عيسى .

يهوذا : إلّهه هو عدوك إبليس أفهو أقوى منك ؟ ألا تقدر أن تضرب على يده وتبطل كيده كما طردته قبلا من جنتك ورحمتك ؟

إبليس : بلى ولكن بينى وبينه عهداً أن أخلّى بينه وبين بنى آدم يغوى منهم من يستطيع إغواءه دون أن أتعرض لمنعه .

يهوذا : إبليس لا عهد له .

إبليس : لكنى أنا لا أنقض عهدي . لا تجزع يا يهوذا . سأتجلى غداً على قيافا وحنانيا وأقنعهما بحقيقة أمرك . (**يختفى هو وشيطاناه**)

جلاديوس : (**ينظر إلى يهوذا متعجبا من كلامه لشخص غير منظور**) : صار يكلم نفسه ويهذى . لا ريب أنه جن (**يذهب إلى أحد المقاعد فيجلس**) .

يهوذا : (**فى فرح**) الآن أستطيع أن أطمئن . لن أضيع ومعى إلّه إسرائيل . (**يجلس على الأرض ويسند رأسه مطمئناً إلى القضبان**) غداً يعرفنى قيافا وحنانيا فيطلقان سراحى . مريم المجدلية عرفتنى فأحرى أن يعرفنى هذان الصديقان . لأبحثن لهما حينئذ عن الناصرى ولأهتدين إليه ولن يفلت من أيدينا

هذه المرة . **(يغلبه النعاس كما يغلب جلاديوس أيضاً)**

(يسود السكون لحظة وتخفت أنوار المسرح رويدا رويدا ثم تضيء الأنوار رويدا رويدا إيذانا بطلوع الصباح)

(تسمع ضوضاء قادمة من بعيد)

(يقرع الباب الأيمن فيهب جلاديوس فزعا من نومه)

جلاديوس : يجب أن أوقظ هذين النائمين . **(يخرج من الباب الأيسر مسرعا ثم يعود ومعه زميلاه وهما يفركان عيونهما ويتوجه جلاديوس نحو الباب الأيمن فيفتحه)** **(يدخل قيافا وحنانيا ومعهما الشيوخ والكهنة يحملون تاجاً من الشوك)**

جلاديوس : ماذا جاء بكم فى هذه الساعة المبكرة ؟

قيافا : قد طلع الصباح وآن أوان المحاكمة .

جلاديوس : هلا صبرتم حتى يحين موعد خروج السيد الحاكم إلى الناس ؟

حنانيا : لا نستطيع أن نصبر . يجب أن يخرج الحاكم فى الحال نريد أن نأكل فطيرنا .

الجنود الثلاثة : فطيركم ؟

حنانياً : فطير عيد الفصح . لا يسوغ لنا أن نذوقه قبل أن نفرغ من أمر هذا الكافر بالشريعة .

قيافا : والخارج على قيصر .

جلاديوس : وما هذه الضوضاء فى الخارج ؟

حنانيا : هذا شعب إسرائيل قد أقبل ليشهد المحاكمة . **(يتطلع الجنود الثلاثة من شباك الشرفة)**

الجنود : وى ! هذه جموع كبيرة .

حنانيا : وستنضم إليها جموع أخرى . شعب إسرائيل كله سيخرج اليوم ليحتفل بالخلاص من فتنة هذا النبى الكاذب . **(ينظر**

الجنود الثلاثة بعضهم إلى بعض كأنهم يتشاورون فيما يجب عمله)

جلاديوس : هلم بنا. علينا أن ننبه الحراس للقيام بواجبهم لحماية القصر من هؤلاء الغوغاء .

الجنديان : (**يومئان له إلى القفص**) ... ؟

جلاديوس : مفتاح القفص معى . (**يخرج الثلاثة من الباب الأيمن**)

قيافا : (**يقبل على القفص**) مستغرق فى النوم كأنه واثق أن لن يمسه سوء !

حنانيا : أيقظوه لنسخر به ونتندر عليه !

قيافا : (**ينغزه بعصاه**) استيقظ يا ملك اليهود ! (**يهب يهوذا وهو يفرك عينيه**)

حنانيا : تنام مطمئنا يا ملك اليهود وأنت على وشك أن تصلب !

يهوذا : حنانيا ! قيافا ! ألا تعرفانى ؟ أنا يهوذا الأسخريوطى ! (**يتضاحكون**)

قيافا : أهذا دفاعك عن نفسك ؟

يهوذا : أنا الذى دللتكم على مكانه .

حنانيا : حقاً ... يهوذا هو الذى دلنا على مكانك !

يهوذا : أنا يهوذا نفسه ! قد سرق عيسى وجهى وأعطانى وجهه !

قيافا : هل سمعتم قط أن الوجوه تسرق ؟ (**يتضاحكون**)

يهوذا : وهل سمعتم قط أن العُمى يبصرون والموتى إلى الحياة يعودون ؟

حنانيا : تريد أن تعدد لنا معجزاتك ؟ إن كنت صادقا فأرنا معجزتك الآن .. أنقذ نفسك من هذا القفص !

يهوذا : أنا يهوذا يا قوم أنا يهوذا !

حنانيا : الآن وقد أيقنت بالصلب تحاول أن تخدعنا عن نفسك ؟

قيافا : أين شجاعتك إذ قلبت منضدة الصيارفة فى الهيكل ؟

حنانيا : وطردت الماشية وأطرت الحمام ؟

قيافا : وسفهت حلومنا داخل المعبد ؟

حنانيا : ولعنتنا جميعا أمام الأشهاد ؟

يهوذا : (**فى يأس**) يا إلٓه إسرائيل أين أنت لتشهد لى ؟ تجلَّ عليهم يا إلٰهى كما وعدتنى ؟ (**يتضاحكون ويظهر إبليس وشيطاناه فينقطع ضحكهم وينظرون إليه مبهوتين**)

يهوذا : سبوح قدوس !

القوم : سبوح قدوس !

إبليس : ماذا صنعتم يا أبنائى؟ هذا الذى قبضتم عليه ليس عيسى الناصرى وإنما هو يهوذا الأسخريوطى قد سحره عيسى فجعله على صورته . (**ينظرون إليه ملياً متعجبين مدهوشين**)

قيافا : فأين عيسى الناصرى إذن ؟

إبليس : ابحثوا عنه تجدوه .

حنانيا : نبحث عنه وهو بين أيدينا ؟

الشيطان : ويلكم ألا تصدقون كلام إلٰهكم إلٓه إسرائيل ؟ (**ينظر بعضهم إلى بعض ويتهامسون**)

حنانيا : (**يتشجع**) أنت لست إلٓه إسرائيل .. أنت .. إبليس !

قيافا : إبليس !

الآخرون : إبليس ! إبليس !

إبليس : (**غاضباً**) اسكتوا عليكم اللعنة ! (**يتراجعون خوفاً**)

حنانيا : لا تخافوا ... إن لعنة الشيطان بركة ورحمة !

إبليس : (**ينظر إلى أعلى فى حنق**) هذا ليس من العدل ! هذا ظلم صارخ ! (**يتهامس القوم فى جذل وانتصار إذ أيقنوا من**

كلامه هذا أنه إبليس حقاً)

يهوذا : (**يصيح**) يا إلّه إسرائيل أنقذنى ! لا تتركنى لهؤلاء ؟

إبليس : لا تبتئس ! تكلم أمام بيلاطس حين تمثل أمامه ، فإنه سيسمع لك وسيأمر بالتحقيق فى أمرك ، ولن يصدر عليك حكما حتى يستوثق من هويتك . (**يختفى إبليس وشيطاناه**)

حنانيا : لا تطمع فى المحال . لو جئت بإبليس وشياطينه جميعاً ما استطاعوا أن ينقذوك من أيدينا .

يهوذا : (**فى ضراعة**) أنا يهوذا يا قوم أنا يهوذا !

قيافا : لو كنت نبياً حقاً كما كنت تزعم ما جزعت هذا الجزع .

حنانيا : وما تنصلت من اسمك على هذه الصورة المضحكة ؟

قيافا : علام كل هذا الجزع ؟ ألست تبشر الناس بملكوت السماء ؟ فها نحن أولاء سنرسلك إلى ذلك الملكوت ! (**يضحكون**)

يهوذا : (**يبكى**) قلت لكم أنا لست عيسى الناصرى .. أنا يهوذا الأسخريوطى .

حنانيا : اسمع يا هذا . لو قلبك إبليس الآن إلى صورة يهوذا الأسخريوطى لما أنجاك ذلك من مصيرك المحتوم . (**يدخل جلاديوس وزميلاه من الباب الأيسر**)

جلاديوس : الحاكم بيلاطس ! (**يدخل بيلاطس فينحنى الجميع احتراما له**)

بيلاطس : (**يجلس على كرسيه**) أهذا عيسى الناصرى ؟

القوم : نعم يا سيدى الحاكم . (**يبدو يهوذا كمن يحاول أن يقول شيئاً فلا يستطيع**)

بيلاطس : إنه فيما أعلم رجل صالح فما ذنبه عندكم ؟

حنانيا : إنه نقض شريعتنا يا سيدى الحاكم فهو يستوجب القتل .

بيلاطس : هذا أمر يخصكم فحاكموه أنتم .

قيافا : صدقت يا سيدى الحاكم ولكنه أيضاً حرّض الناس على الثورة ضد قيصر ونهاهم عن دفع الضريبة زاعماً أنه هو ملك اليهود .

بيلاطس : (**يوجه الخطاب إلى يهوذا**) أحقاً زعمت أنك ملك اليهود ؟

يهوذا : (**لا يستطيع الإجابة**) ... ؟

بيلاطس : ألم تسمع ؟ إنهم اتهموك بأمور كثيرة فماذا تقول ؟ ألا تدافع عن نفسك ؟

يهوذا : (**لا يستطيع الإجابة**) ... ؟

بيلاطس : تكلّم ! ألا تعلم أننى أنا الحاكم أملك أن أصلبك وأملك أن أطلق سراحك ؟ تكلّم !

يهوذا : (**ينعقد لسانه فلا يجيب**) ... ؟

بيلاطس : ما الذى عقد لسان هذا الرجل ؟

قيافا : سكوته هذا دليل على اعترافه .

بيلاطس : كلا ليس هذا سكوت معترف . إنه أشبه بسكوت العاجز عن الكلام .

قيافا : إنه يا سيدى من أفصح الناس ولكنها تُهم ثابتة عليه لا يستطيع إنكارها .

بيلاطس : بالنسبة لى لم يثبت عليه شيء عندى .

قيافا : إن أطلقت سراح هذا الرجل فلست مخلصاً لقيصر لأن هذا الرجل ثائر على قيصر .

بيلاطس : ماذا تريدون منى أن أصنع به ؟

قيافا : هذه جماهير الشعب اليهودى واقفة خارج قصرك.سلهم إن شئت ماذا يريدون أن تصنع به .

بيلاطس : (**يطل من الشرفة**) يا معشر اليهود ماذا تقولون فى ملككم

هذا الذى يُدعى المسيح ؟

أصوات الشعب : يجب أن يصْلَب ! مرهـم يصلبـوه ! لـيُصلب ! مرهـم يصلبوه ! يجب أن يصلب !

بيلاطس : ويلكم كيف أصلب ملككم ؟

قيافا : (**بأعلى صوته**) لا ملك لنا غير قيصر !

الشعب : (**يردد**) لا ملك لنا غير قيصر ! لا ملك لنا غير قيصر !

بيلاطس : (**لرجاله**) أحضروا لى طِشت ماء . (**يخرج جلاديوس منطلقا**) (**للجماهير**) يا معشر اليهود تعلمون أن من عادتنا أن نطلق لكم فى العيد أسيراً فمن تريدون أن نطلق لكم فى هذا العيد ؟

الشعب : باراباس ! باراباس ! أطلق لنا باراباس !

بيلاطس : باراباس قاطع الطريق أم عيسى الذى يدعى المسيح ؟

الشعب : باراباس .. أطلق لنا باراباس ! نريد باراباس !

بيلاطس : سأطلق لكم عيسى الذى يدعى المسيح !

الشعب : كلاكلا . اصلب عيسى ! مرهـم يصلبـوه ! يجب أن يصلب ! (**يعود جلاديوس بطشت ماء فيضعه أمام بيلاطس**)

بيلاطس : (**يغمس يديه فى الطشت ثم يرفعهما أمام الجماهير**) يا معشر اليهود انظروا ها أنذا قد غسلت يدىّ .. أشهدكم أنى برىء من دم هذا الرجل الصالح !

الشعب : ألق دمه علينا وعلى ذرارينا ! علينا دمه وعلى ذرارينا !

بيلاطس : (**يتنحى عن الشرفة**) فليكن ما تريدون . (**لرجالـه**) أطلقوا لهم سراح باراباس وسلموا هذا إليهم ليصلبوه (**يشير إلى يهوذا فى القفص**) لاتنسوا أن تكتبوا تهمته على صليبه ..

اكتبوها باللغات الثلاث .

جلاديوس : ماذا نكتب على صليبه يا مولاى ؟

بيلاطس : اكتبوا : هذا عيسى الناصرى ملك اليهود !

قيافا : كلا يا سيدى الحاكم . ليس هو ملك اليهود وإنما زعم أنه ملك اليهود .

بيلاطس : (**فى حدة وغضب**) كفى اعتراضاً ! ما أمرت أن يكتب فليكتب كما أمرت ! (**يخرج من الباب الأيسر**) (**يفتح الجنود القفص فيسوقون يهوذا ، والشيوخ والكتبة يشمتون به ويسخرون**)

قيافا : انتظروا حتى نلبسه الحلة الملكية ونضع على رأسه التاج ! (**يلقى عليه حلة أرجوانية ويضع على رأسه تاجا من الشوك**)

القوم : (**ساخرين**) سلام يا ملك اليهود ! تعيش يا ملك اليهود ! (**يظهر إبليس وشيطاناه وقد بدا عليهم الأسى الشديد فيراهم يهوذا دون الآخرين**)

يهوذا : (**يتلفت نحو إبليس وهم يسوقونه**) إلهى إلهى لم تركتنى ؟

حنانيا : (**يدفعه فى ظهره بحقد**) أتدعو إلهك إبليس بعد ؟ دعه ينقذك إن استطاع ! (**يخرج الجميع من الباب الأيمن**)

الشيطان الثانى : ويحه هلا تكلم أمام بيلاطس ؟

الشيطان الأول : انعقد لسانه فلم يستطع أن يتكلم .

الثانى : هذه هزيمة لنا منكرة لم نصب بمثلها منذ عهد موسى !

إبليس : (**فى حدة وضيق**) كلا لم نهزم !

الثانى : هل فى وسعنا أن ننقذه بعد ؟

إبليس : ليس علينا أن ننقذه ولا نريد أن ننقذه .

الأول : فيم يا سيدى؟ لقد كان يهوذا هذا مخلصاً لك .

إبليس : قد أدى رسالته وكفى .

الثانى : كنا نريد أن يصلب عيسى الناصرى لا يهوذا الأسخريوطى .

إبليس : ويلك أليسوا جميعاً يظنون أنه عيسى الناصرى ؟ لقد صلبوا اسمه فكأنهم صلبوه . إنه لن يقدر أن يظهر من جديد بعد صدور الحكم عليه !

الثانى : لكن لو صلبوه لكان أفضل !

إبليس : أيها الجاهل الغبى إن شعبى المختار قد أجمعوا على وجوب صلبه وهذا يكفينى انتصاراً عليه وعلى ذاك الذى أرسله ! (**يسمع صوت آت من قبل السماء**)

الصوت : هيهات يا إبليس !

إبليس : (**مجفلا**) صه ! صوت من هذا ؟

الصوت : أنا عيسى رسول الله وكلمته ، قد رفعنى الله إليه ، ولقى عبدك يهوذا جزاءه . وستلقى أنت جزاءك يوم الدين !

إبليس : دعنى من هذا . بحسبى أن بنى إسرائيل قد كفروا برسالتك وصلبوك .

الصوت : صلبونى أم صلبوا يهوذا ؟

إبليس : إن لم يصلبوك فقد صلبوا رسالتك !

الصوت : إن أعميتهم عن رسالتى فسيهتدى بنورها أقوام آخرون من غير بنى إسرائيل .

إبليس : فلأفتننهم ببنى إسرائيل .. لأفسدنّهم بشعبى المختار الذى سأبنى به ملكوتى على الأرض .

الصوت : ملكوت الله أعلى وأجل !

إبليس : سأطوى ببنى إسرائيل الملكوت الذى تذكر وأبسط بهم

ملكوتى !

الصوت : هيهات .. لن تستطيع .

إبليس : قد استطعت . لقد هزمتك كما هزمت موسى والأنبياء من قبلك ، وأنت آخر نبى ولن يظهر نبى بعدك .

الصوت : أين أنت من النبى المختار الذى سيظهر بعدى ؟

إبليس : كلا لن يظهر نبى بعدك أبداً .

الصوت : ويحك يا إبليس لقد قلت مثل هذا القول ليحيى قبل ظهورى ، وزعمت أنك قد أفسدت أصلاب بنى إسرائيل فلن يظهر فيها نبى فماذا كان ؟ كانت قدرة الله عز وجل فوق مكرك إذ قذفنى إلى بطن أمى دون أن يحملنى صلب من أصلابهم .

إبليس : ولكن المعجزة لن تتكرر .

الصوت : تواضع قليلا يا إبليس فإن الذى صنع المعجزة سبحانه ليملك بالأحرى أن يعيدها .

إبليس : كلا لقد جعلت ذلك محالا اليوم !

الصوت : على رب العزة يا إبليس ؟

إبليس : نعم .

الصوت : ويحك من شقى مسكين ! إنى لأرثى لكبريائك وعنادك .

إبليس : (**غاضبا**) كلا لا أريد رثاءك فإنما الرثاء للمستضعف ولست بمستضعف !

الصوت : أحق الضعفاء بالرثاء من يزعم أنه قوىّ ويجهل أنه ضعيف !

إبليس : لو تعلم ماذا صنعت فى بنى إسرائيل لما قلت لى هذا القول . لقد أفسدت أرحام نسائهم اليوم كما أفسدت أصلاب رجالهم من قبل !

الصوت : ويحك يا إبليس .. أليس الله بقادر أن يبعث رسوله المختار من

غير بنى إسرائيل؟

إبليس : كلا لن يظهر فى الأميين رسول .. إنهم جميعاً وثنيون .

الصوت : فاعلم إذن أن ذلك الرسول العظيم الذى يأتى بعدى سيظهر فى الأميين !

إبليس : (**يرتاع قليلا ثم يتجلد**) لا بأس . ليأت ذلك النبى المختار فإنه سوف يمضى كما مضيت أنت وكما مضى من قبلك . وأبقى أنا ويخلو العالم لوجهى أبسط عليه ملكوتى كما أشاء ، وأجعل شعبى المختار على كرسى سلطانه !

الصوت : ذاك النبى المختار لن يمضى كما مضى من قبله .

إبليس : أخالد هو فى الخالدين أم فان فى الفانين ؟

الصوت : فان فى الفانين ولكن كتابه المبين سيبقى إلى يوم الدين .

إبليس : وماذا أخشى من كتاب ؟

الصوت : ما بقى ذلك الكتاب فلن يكون لك ملكوت فى الأرض !

إبليس : لأطمسنه ولأقضين عليه ! (**يشع نور عظيم من السماء فيتوهج المسرح**)

الصوت : ويحك يا مغرور هل تستطيع أن تطمس هذا النور ؟ (**يتململ إبليس وشيطاناه من شهود النور فيحجبون عيونهم بأيديهم ويتخبطون فى المسرح**)

(**يسمع حفيف كحفيف الأجنحة من السماء فيراع الشياطين الثلاثة ويخرجون هاربين . ويخلو المسرح إلا من النور الذى يأخذ فى الازدياد ، وإلاّ من أصوات سماوية تردد**) :

المجد لله فى الأعالى
وعلى الأرض السلام
وبالناس المسرة !

« ستار الختام »

الحيـــة

مسرحية من خمسة مشاهد

المشهد الأول

(قبو واسع تندلع ألسنة النيران من جوانبه كأنه ركن فى جهنم ، وترى على جدار صدر المسرح خريطة كبيرة للعالم فى سنة ١٨٩٧ وقد التفت حول أقطاره حيّة صفراء ضخمة وظهر رأسها متجها نحو فلسطين وهو ينوس ذات اليمين وذات الشمال كأنه يتحفز للوثوب على ذلك الهدف)

(يرفع الستار فنرى المكان غاصاً بالشياطين من ذكور وإناث فى هيئات مختلفة.وقد تصدرهم إبليس وعن يمينه وشماله وزيراه الشيطان الأول والشيطان الثانى وعلى وجوه الجميع مظاهر الفرح والابتهاج .)

الشيطان الأول : السكون ! السكون ! استمعوا إلى ما يقول مولانا العظيم !
(يهدأ الجميع ويصغون)

إبليس : يا معشر بنى النار ! يا جنودى المخلصين ! انظروا إلى هذه الخريطة ماذا فيها ترون ؟

الشياطين : الحية المقدسة!
أختنا فى الكفاحِ !
ورفيقتنا فى الجهاد !

إبليس : قد اقتضت حكمتى عرفاناً لفضلها الكبير أن أجعلها الرمز

الخالد لشعبى المختار منذ خرج من فلسطين ليبشر برسالتى فى مختلف أرجاء الأرض .

الجمع : عرفان جميل!
تكريم فى محله !
تعيش الحية المقدسة !

إبليس : انظروا هل بقى من بلد فى العالم لم تلف جسمها عليه ؟

الجمع : لا .. قد لفت جسمها على كل بلد فى العالم.

إبليس : فقد أصبح شعبى المختار مسيطراً على مقاليد السلطان فى العالم كله . انظروا إلى رأسها أين يتجه ؟

الجمع : إلى فلسطين !

إبليس : ذلك ميثاق لشعبى المختار حين تكمل الحية دورتها لأعيدنّه إلى فلسطين ولأبنين له فيها دولة الدول لتكون قاعدة الملكوت الذى سأبسطه فى الأرض !

الجمع : (**يهتفون**) هلّلويا ! هللويا !

إبليس : انظروا إلى هذه المدينة ما اسمها ؟

الجمع : هذه مدينة بال فى سويسرة .

إبليس : هناك يعقد صفوة أبنائى اليهود مؤتمرهم الأول ليتشاوروا ويتعاهدوا على العمل لبناء الملكوت !

الجمع : هللويا! هللويا !

إبليس : انظروا إليهم مجتمعين فى مؤتمرهم كيف ترونهم ؟

الجمع : فى سحن مختلفة وأزياء مختلفة .

إبليس : جاءوا من مختلف أقطار العالم وسوف تمتزج سحنهم وتتوحد أزياؤهم فى فلسطين .

الجمع : وينطقون بلغات مختلفة .

إبليس : عما قريب تجمعهم لغة واحدة هى اللغة التى خاطبت بها أسلافهم منذ عشرين قرنا .

الجمع : تلك لغة قد ماتت فكيف تحيا من جديد ؟

إبليس : سأعينهم على إحيائها لتكون إحدى معجزاتى فى هذا العصر .

الجمع : ليس من الخير أن تفعل . إنها اللغة التى تكلم بها أعداؤك موسى وعيسى وداود وسليمان !

إبليس : ويلكم سيكون شفاء لغليلى أن أرى اللغة التى ناجى بها موسى ربه وحاول بها عيسى أن يبشر بملكوت السماء وقد أصبحت لغة الحكم والسلطان فى ملكوتى على الأرض .

الجمع : هلّلويا ! هلّلويا !

إبليس : أبشروا أبشروا يا أعوانى وجنودى .. إننا اليوم من نهاية الشوط على كثَب . عما قليل سأبنى ملكوتى على الأرض وأطاول به ملكوت السماء .

الجمع : هللويا ! هللويا !

إبليس : أو تدرون بعد ذلك ماذا يكون ؟

الجمع : ماذا يكون ؟

إبليس : (**يعلو صوته فى تحد ووقاحة**) سأهزم رب العزة !!

الجمع : (**يهتفون فى نشوة**) سأهزم رب العزة !!

إبليس : (**ينشد فى لحن غريب**) :

هاكم نشيد الانتصار رددوا معى النشيد!

قولوا معى : نحن من الأحرار لا من العبيد !

الجمع : (**فى نفس اللحن**)

نحن من الأحرار لا من العبيد !

إبليس : اليوم عيد لنا بنى النار سعيد !

الجمع : اليوم عيد لنا بنى النار سعيد .

إبليس : اليوم يضحى الكون فى طور جديد !

الجمع : اليوم يضحى الكون فى طور جديد .

إبليس : كما نريد .
ليس كما يريد ظلام العبيد !

الجمع : كما نريد .
ليس كما يريد ظلام العبيد !

إبليس : ونصرنا الأكيد .
أصبح منا أمماً غير بعيد .

الجمع : ونصرنا الأكيد .
أصبح منا أمماً غير بعيد .

إبليس : وملكوتنا المجيد .
أوشك يستهل كالوليد !

الجمع : وملكوتنا المجيد .
أوشك يستهل كالوليد !

إبليس : المجد للأحرار وليخز العبيد !

الجمع : المجد للأحرار وليخز العبيد !

إبليس : ويلكم أين بواطى الخمر ؟

الجمع : (**فى دهش**) الخمر ؟!

إبليس : ألا تشتهون أن تشربوها ؟

الجمع : (**فى توجس وتردد**) بلى .. بلى .

إبليس : فلم لم تحضروها ؟

الجمع : ممنوعون من شربها بأمرك .

إبليس : فيما مضى لئلا تلهيكم عن مهمتكم الكبرى . أما اليوم

وانتصارنا على الأبواب فقد حل لكم الشراب .

الجمع : (**يرتفع ضجيجهم وينطلقون فى كل اتجاه ثم يعودون ببواطى الخمر يحملونها فى نشوة ومرح وهم يهتفون**)

يعيش إبليس العظيم !

يعيش مولانا الزعيم !

يعيش رائد الحرية !

يعيش قاهر رب العزة !

إبليس : (**يرفع باطيته**) نخب انتصار الأحرار ! (**يشرب**)

الجمع : نخب انتصار الأحرار (**يشربون**)

إبليس : نخب الشجرة ! (**يشرب**)

الجمع : نخب الشجرة ! (**يشربون**)

إبليس : نخب الحية المقدسة ! (**يشرب**)

الجمع : نخب الحية المقدسة ! (**يشربون**)

إبليس : نخب القاتل الأول قابيل ! (**يشرب**)

الجمع : نخب القاتل الأول قابيل (**يشربون**)

إبليس : نخب العجل الذهبى والذين عبدوه (**يشرب**)

الجمع : نخب العجل الذهبى والذين عبدوه (**يشربون**)

إبليس : نخب هيروديا وسالومى (**يشرب**)

الجمع : نخب هيروديا وسالومى (**يشربون**)

إبليس : نخب يهوذا الأسخريوطى الشهيد (**يشرب**)

الجمع : نخب يهوذا الأسخريوطى الشهيد (**يشربون**)

إبليس : وأخيراً نخب بنى إسرائيل الشعب المختار (**يفرغ بقية الباطية**)

الجمع : نخب بنى إسرائيل الشعب المختار (**يفرغون ما بقى فى بواطيهم**)

إبليس : هيا امرحوا واطربوا واعزفوا وارقصوا وعربدوا وخلدوها ليلة ممجدة! العربدة! العربدة! (**تعزف موسيقى صاخبة**)

(يأخذ كل شيطان شيطانة فيراقصها رقصاً شيطانيا مثيرا ويتوق إبليس إلى الرقص فلا يجد شيطانة تراقصه فيعمد إلى الحية يخرجها من الخريطة فيحملها فى يده يراقصها فى غمار الآخرين فيحمى الوطيس حتى تحل الشيطانات غدائرهن فهى تتمرمر وتتموج ويبدأ الشياطين فى سحب قطع من ثيابهن وإلقائها عنهن ويتعالى الصخب والضجيج) .

(ستار)

المشهد الثانى

(قاعة كبيرة فى ناد خاص بمدينة بال فى سويسرة فى أواخر القرن التاسع عشر .)

(المقاعد مصفوفة فى شبه دائرة تتوسطها فى الصدر منصة للخطابة .)

(ستائر القاعة مرخاة بإحكام مما يوحى بالسرية التامة .)

(يرفع الستار فنرى المنصة خالية وأعضاء المؤتمر جالسين على المقاعد وقد تباينت سحنهم وأزياؤهم باختلاف البلاد التى جاءوا منها وهم يتطلعون إلى الباب الجانبى الـذى سيدخل منه رئيس المؤتمر .)

(يدخل رئيس المؤتمر فيقف الجميع تحية لـه ويومئ الرئيس رداً على تحيتهم ثم يجلس على المنصة فيجلسون)

الرئيس : إخوانى فى الرب وفى المصير . مجّدوا اسم إلٰهكم إله إسرائيل فى هذا اليوم المجيد ، فقد آن له أن يبتسم بعد عبوس ، وأن يضحك بعد بكاء ، وأن يعلو اسمه على أسماء آلهة العالمين ! مجدوه مجدوه لقد آن لملكوته أن ينبسط على الأرض وأن تتربع إسرائيل على كرسى ذلك الملكوت !

أصوات : تباركت يا إلٰه إسرائيل ! تعاليت يا إلٰه إسرائيل ! تقدس اسمك يا إلٰه إسرائيل ! المجد ليهوه ! المجد لرب الجنود ! ربَّ الجنود المجد لك والنصر لك ؟

صوت : هل لى أن أتكلم يا سيدى الرئيس !

الرئيس : تكلم .

الصوت : قد سبق أن اعترضنا على هذا التشبث بخرافات الأقدمين وأساطير الأولين . تذكروا أننا نعيش اليوم على عتبة القرن العشرين فى عصر العلم والنور ، لافى ظلمات القرون الأولى . فعلينا إن كنا جادين فى تأسيس كيان دولة لنا تجْمعنا بعد التفرق ، وتلمنا بعد الشتات ، أن نبنى كفاحنا وعملنا على أساس علمى صحيح ، لا على تلك الأسس الغيبية التى أكل الدهر عليها وشرب ، ولم تعد تصلح أن يقوم عليها مجتمع متقدم يريد أن يعيش ، فما بالكم بدولة تطمع أن تكون دولة الدول فى يوم من الأيام ؟

(همهمة سخط من أركان مختلفة فى القاعة)

(يومىء الرئيس بيديه لا لتزام السكوت فتنقطع الهمهمة) .

الرئيس : (**لصاحب الصوت**) فماذا تريد أن نصنع ؟

الصوت : إن كان لابد لنا من اسم نقدسه فلنقدس اسم إسرائيل أواسم الحية التى ترمز إليها ، ولندرج فى أكفان التاريخ وإلى الأبد اسم إلّه إسرائيل الذى مات ولم يعد له وجود !

أصوات : أجل أجل ! هذا هو القول الصحيح ! .

أصوات : كلا كلا . هذا كفر ! هذا إلحاد ! هذا تدنيس لاسم الرب ! هذا تجديف لا نرضاه !

أصوات : إنه الحق ! الحق يجب أن يقال ! إننا فى عصر العلم والنور !

صوت ثان : ويلكم ! إنا ما اجتمعنا هنا لنعلن الكفر بإلّهنا الذى حمانا من بطش الجبابرة ، فلولا إلّه إسرائيل لما بقينا إلى اليوم ، ولبادت أمتنا كما بادت أمم كثيرة !

الرئيس : (**يضرب المنضدة لتسكيتهم**) يا إخوانى لا تكونُنَّ مثل

البيزنطيين إذ ظلوا يتجادلون فى خلافاتهم المذهبية وعدوهم على الأبواب ! إن هذا يوم له ما بعده فى تاريخ شعبنا المختار . ولئن أخفق مؤتمرنا هذا فلن ينجح لنا مؤتمر بعده . إخوانى تدبروا فيما أقول لكم . إننا إذ نؤمن بإله إسرائيل ليختلف إيماننا به عن إيمان المسيحيين بإلههم أو المسلمين . فالإله عند هؤلاء وهؤلاء مصدر الخلق المشاع بين العالمين جميعا والكائنات كافة . أما إلهنا فهو أبونا الذى يخصنا ولا يشركنا فى حبه ولا فى عطفه أحد سوانا ، والذى يجمعنا اسمه كما يجمع الأسرة الواحدة اسم أبيها حتى بعد موته فإنها تجتمع على ذكراه .

الصوت الثانى : كلا يا سيدى الرئيس .. لانقر الإشارة إلى أنه مات . إنه حىّ لا يموت .

الصوت الأول : ما مات ولا يموت لأنه لم يكن له وجود قط ! (**يرتفع اللغط من جديد**)

الرئيس : يا إخوانى فيم الخلاف على أمر هيّن كهذا غير ذى خطر ؟ ألا إن مثلكم كمثل أسرة غاب أبوها حينا فاعتقد بعض أعضائها أنه قد مات واعتقد آخرون أنه لم يمت . فهل يدعو ذلك إلى أن يتعادى الفريقان ؟ أم هل يقطع ذلك انتسابهم جميعا إلى ذلك الأب ؟ يا إخوانى سواء ثبت أن لهذا الكون خالقا أو ليس له خالق فإن إله إسرائيل الذى يربطنا جميعا ينبغى أن يكون ، بل هو كائن فعلا وإلا لما كان فى الإمكان أن تجتمعوا اليوم من شتى أقطار الأرض ! إخوانى إن بقى فيكم من ينكر هذا الرباط أو يشك فى وجوده فليتكلم !

الصوت الأول : أما هذا الرباط فنحن جميعا نؤمن به .

الرئيس : بحسبنا هذه الحقيقة الكبرى وليفسرها كل فريق منا كما يشاء ، لا جناح عليه فى المذهب الذى يدين به ، فهل اتفقنا على هذا ؟

الجميع : نعم .. نعم !

الرئيس : لا أريد منذ الآن أن أسمع أى اختلاف فى هذه الكلمة أو اعتراض على استعمالها ، فهى رمز لا نستغنى عنه فى حديثنا عن ذكريات ماضينا أو آمال مستقبلنا . موافقون ؟

الجميع : موافقون .. موافقون !

الرئيس : إخوانى الأعزاء . منذ قرابة عشرين قرنا هدم تيتوس الرومانى هيكلنا الثانى فى أورشليم ، فكان ذلك بداية تفرقنا فى أرجاء الأرض . ويروى لنا آباؤنا أن ذلك قد تم بتدبير إله إسرائيل ومشيئته ليجعل لنا من هذا التفرق وحدة ، ومن هذا الضعف قوة ، ومن هذه المحنة نعمة . وقد أوصانا بوصايا ووعدنا بأننا إن عملنا بها فسيعيدنا إلى أرض الميعاد ، بعد أن نكون قد سيطرنا على جميع الشعوب التى خالطناها وحللنا بينها . وقد عملنا بوصايا إلهنا بالحرف فلا غرو أن يتحقق لنا وعده بالحرف . ها هى ذى حيتنا الرمزية قد طوقت بجسمها جميع أقطار الأرض ، وآن لرأسها أن ينتهى من طوافه الطويل إلى حيث بدأ . ويومئذ تقوم دولتنا فى فلسطين من جديد ، ثم تنمو وتتسع حتى تشمل أرض الميعاد بأسرها من النيل إلى الفرات ، ومن ثم ينبسط سلطاننا على العالم أجمع .

أصوات : يومئذ تفرح إسرائيل ! يومئذ تعلو إسرائيل على العالمين ! ليتنا نعيش حتى نشهد هذا الحلم الكبير ! ترى هل يأتى ذلك اليوم المجيد ؟

الرئيس : إنه آت لا ريب فيه . قد عمل له آباؤنا وأسلافنا منذ قرون

فكانوا دائماً سائرين صوب الهدف ، لا يصدهم عنه ظلم ولا اضطهاد ، ولا تثنى عزائمهم المصاعب والعقبات ، فمهدوا لنا الأساس وبقى علينا أن نبنى الأركان . واليوم وقد أصبح العالم كأنه بلد واحد بفضل المخترعات الحديثة التى قربت كل بعيد وسهلت كل صعب ، فعلينا أن نسير فى هذا الدرب الطويل بخطى أوسع من خطى آبائنا وعزائم أقوى وأمضى فهل أنتم فاعلون ؟

أصوات : نعم نعم ! لنستسهلنّ الصعاب ! لنخوضنّ الغمرات ! لنضاعفنّ الجهود ! لنعملنّ ليل نهار ! لنحققنّ الميثاق !

الرئيس : إخوانى الأعزاء . لقد كنا نعمل قديما فى سراديب الظلام ، وقد آن لنا اليوم أن نعمل فى وضح النهار . يجب من اليوم أن نضع لكفاحنا الخالد خطة سافرة نعلنها للعالم ونقوم بتنفيذها على مرأى ومسمع من شعوب العالم .

صوت ثالث : يا سيدى الرئيس أليس العمل فى الخفاء كدأبنا ودأب أسلافنا من قبل أسلم وأكفل بتحقيق هدفنا المنشود ؟

الرئيس : بلى لو أمكن الاقتصار عليه ولكن ذلك لم يعد كافيا اليوم للسير الحثيث إلى الهدف .

الصوت الثالث : السير البطىء المأمون العاقبة خير من السير الحثيث المحفوف بالمزالق والأخطار .

الرئيس : الخطر خطران : خطر يمكن اتقاؤه بمرور الزمن وخطر لا مناص من اجتيازه طال الزمن أو قصر . والخطر الذى بين أيدينا هو من النوع الثانى . لقد أضحت المهام الملقاة على عواتقنا فى هذه المرحلة من تاريخ كفاحنا من الضخامة والعظم بحيث لامناص للقيام بها على الوجه المطلوب من انكشاف

سرها للناس . لا بد من خطة نعلنها للناس ونسعى لإقناعهم بها ، وبذلك نأمن الخطر الذى نخشاه .

الصوت الثالث : هل نقنع الناس بأننا نسعى لملك العالم ؟

الرئيس : هذا سؤال لا ينبغى أن يوجهه رجل من شهود هذا المؤتمر . إن هدفنا الأكبر إنما يتم على مراحل فكيف نعلن مرحلتنا الأخيرة قبل المرحلة الأولى ؟ بحسبنا اليوم أن نعلن لهم تأسيس هيئة تسعى بالوسائل السلمية إلى أن يكون لنا وطن قومى فى فلسطين يثوب إليه اللاجئون من اليهود الفارون من الظلم والاضطهاد .

صوت رابع : لكن هذا الاضطهاد قد قل اليوم بعد ما أعلن تحرير اليهود فى معظم الدول الأوربية .

الرئيس : ذلك ما يدعونا إلى التعجيل بحركتنا هذه قبل أن يأتى يوم لا يبقى فيه يهودى واحد مضطهد فى الأرض .

الصوت الرابع : أوَ تخشى يا سيدى الرئيس من زوال الاضطهاد عن اليهود ؟

الرئيس : نعم . إن زال الاضطهاد فبأى حجة نطالب بذلك الوطن القومى فى فلسطين ؟ ثم كيف نجد عددا كافيا من بنى جنسنا يرغبون فى الهجرة إلى ذلك الوطن ؟ إن صيحة الاضطهاد دائماً ترد الشياه إلى الحظيرة .

صوت خامس : يا سيدى الرئيس .. لقد سكتُّ طويلا فهل لى الآن أن أتكلم ؟

الرئيس : هات قل ما عندك .

الصوت الخامس أنا لا أوافق ألبتة على فكرة الوطن القومى فى فلسطين .

أصوات : ما هذا ؟ ماذا يقول هذا الرجل ؟ اسكت ! اجلس !

الرئيس : دعوه يتم حديثه .

الصوت الخامس إن الوطن القومى سيوردنا متاعب نحن فى غنى عنها ، فهناك العرب أصحاب البلاد سيثورون فى وجهنا وهم الشعب الوحيد

الذى عاملنا معاملة كريمة يوم اضطرمت الدنيا كلها نـاراً علينا .

الرئيس : (**فى سخرية**) وتريد منا أن نحفظ لهم هذا الجميل ؟

أصوات : نحفظ الجميل ؟ لمن ؟ لهؤلاء الجويم ؟

الرئيس : ماذا تقول إذن فى الإصحاح العشرين من سفر التثنية الذى يقول : « وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك ميراثا فلا تستبق منها نسمة واحدة بل أبدها على بكرة أبيها » ؟

الصوت الخامس: هذا النص لا ينصب على العرب اليوم إذ المقصود به الشعوب التى كانت تقيم فى أرض الميعاد إذذاك .

الرئيس : عرب اليوم أحفاد تلك الشعوب ويصدق عليهم ما يصدق على أسلافهم .

الصوت الخامس: أفتريدون أن تبيدوا العرب جميعاً ؟ . هذا محال اليوم .

الرئيس : محال ؟ لماذا ؟ ألأنهم أمة كبيرة العدد ؟ . لا تخف فالإصحاح السابع من سفر التثنية يقول : « لا ترهب وجوههم فإن الرب إلهك معك إله عظيم رهيب وإن الرب إلهك سيطرد أولئك الشعوب من أمامك قليلا قليلا . لا ينبغى أن تفنيهم سريعاً فتكثر عليك وحوش البرّية ، ولكن الرب إلهك سيدفعهم إليك وينزل بهم قارعة عظيمة حتى يفنوا ، ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء ! » .

أصوات : حُسّانه ! حسّانه ! هللويا !

الصوت الخامس: ما زلت على رأيى أن هذه النصوص خاصة بالعصر الذى نزلت فيه ولا تصدق ألبتة على العصر الحاضر .

أصوات : أسكتوا هذا اليهودى الزائف ! لعل العرب أرسلوه ليدافع عنهم ! اذهب فصحح يهوديتك أولاً ثم تكلم فى مؤتمرنا .

(ضحك وسخرية)

الصوت الخامس: ويلكم لو كان فيكم خير لأنفسكم ولبنى جنسكم لعرفتم أن هذا ليس مجالا للهزل والسخرية . إننا اجتمعنا اليوم لنقرر مصير شعبنا المختار ونرسم مستقبله للقرون القادمة . أنا لا أدافع عن العرب ولا أدعوكم إلى حفظ جميلهم ولكننى أدعوكم أن تنظروا إلى مصلحتنا أين تكون ؟ اذكروا أن تفرقنا فى أقطار الأرض دون أن يكون لنا وطن خاص هو الذى مكّننا من السيطرة على شعوب العالم حتى أصبحت مقاليدها الاقتصادية فى أيدينا وصار زعماؤها خدماً لنا وعبيداً.فكيف تريدون منا أن نعرض هذه المزية الكبرى للضياع فى سبيل وطن صغير لا قيمة له ؟

الرئيس : إن هذه المزية التى ذكرتها ليست هى الغاية القصوى لتفرقنا فى العالم وإنما هى مرحلة من مراحل غايتنا الكبرى .

الصوت الخامس: وما غايتنا الكبرى ؟ أليست هى ملك العالم ؟

الرئيس : بلى .

الصوت الخامس: فقد تحقق لنا هذا أو كاد . ألسنا نسيطر اليوم على مقاليد الاقتصاد والسياسة فى جميع حكومات العالم ؟ وستقوى هذه السيطرة يوما بعد يوم ويتضاعف نفوذنا وسلطاننا حتى نصبح حقا ملوك العالم .

الصوت : كلا كلا . لا نكتفى بهذا ! نريد أن يكون لنا وطن خاص مثل سائر الأمم .

الصوت الخامس: أمن أجل هذا الوطن الخاص تنزلون عن العالم كله وطنا لكم ؟ .

أصوات : نريد العودة إلى فلسطين ! نريد أن نحقق الميثاق !

الصوت الخامس: ويلكم إن الذى يسيطر على العالم كله يسيطر ضمنا على فلسطين . وهذا معنى الميثاق الذى جهلتموه .

أصوات : كلا كلا . نريد أن نكون أمة كسائر الأمم !

الصوت الخامس: من قال إننا لسنا أمة ؟ إننا أمة اليوم وقبل اليوم ومنذ كنا. بل نحن نفوق الأمم كلها فى تكتلنا وترابطنا ووحدة الهدف . ولا يعوزنا إلا أمر لا قيمة له : هو أن نقيم مجتمعين فى قطعة من الأرض تدعى فى اصطلاح غيرنا « الوطن » .

أصوات : كلا كلا .. لا أمة بلا وطن !

الصوت الخامس: ومن قال لكم إننا بلا وطن ؟ إن لنا وطنا لاتراه الناس ولكنه قائم فى قلوبنا ومشاعرنا ، نتمتع بمزاياه كما تتمتع أية أمة أخرى بمزايا وطنها ، مع انفرادنا بمزايا أخرى لا تتمتع بها أية أمة من أمم الأرض فى أى عصر من عصور التاريخ ، إن وطننا مطلق مترامى الحدود فى العالم كله وليس محدوداً ببقعة خاصة من الأرض كأوطان غيرنا من الأمم بحيث نستطيع أن نقول إن العالم كله وطن لنا .

أصوات : كلا كلا لا نريد الوطن الوهمى الذى تشير إليه ! نريد أورشليم .. لا بد لنا من أورشليم !

الصوت الخامس: ويحكم إن هذا الوطن الذى تدعونه وهميّا قد بقى وسيبقى مصونا من غزو الغازين ، واحتلال المحتلين ، وفى مأمن من جوائح الأوبئة والمجاعات وضربات الطبيعة من زلازل وبراكين وفيضانات . وهذا هو سر بقائنا إلى اليوم من حيث هلكت الأمم القديمة التى عاصرتنا ، وأمم كثيرة جاءت بعدنا كانت جميعا أكثر منا عدداً وأعظم سلطانا . فكيف تريدون اليوم أن تحصرونا فى وطن محسوس محدود فيجوز علينا ما جاز

على غيرنا من الدثور والاضمحلال ؟ .

أصوات : كلا كلا .. نريد أن يكون لنا وطن كما للشعوب أوطان ! .

الصوت الخامس: على وزن قول آبائكم لما عبدوا العجل الذهبى : نريد أن يكون لنا إله كما للناس آلهة ! وقد كان لهم إله حقا يومذاك .. إله لا تدركه الأبصار فغفلوا عنه ، وعبدوا عجلا صغيراً يرونه بأعينهم فكذلك اليوم تفعلون . غفلتم عن الوطن الكبير الذى جعله لكم إله إسرائيل مصداقا لميثاقه وآثرتم عليه وطنا صغيرا تتحدون المصاعب والأخطار لإنشائه فى فلسطين .

الرئيس : حقاً إنك لبليغ المنطق ، ناصع الحجة ، قوى العارضة ، ولكن غاب عنك وربما غاب أيضا عن كثير من إخوانى المؤتمرين أن آباءنا لم يتخلوا عن إلههم الكبير الذى لا تدركه الأبصار لما عبدوا العجل الصغير الذى تراه العيون ويسمع له خوار . كلا إن آباءنا أحكم وأحجى من ذلك . ولكنهم جمعوا بين الإله الكبير والإله الصغير : بين إله يرعاهم من السماء وإله يرعونه فى الأرض . بين إله محسوس كآلهة الناس إذ ذاك وإله خفى ينفردون به دون الناس ! .

أصوات : بديع ! بديع ! بوركت أيها الرئيس ! بوركت يا أمير اليهود فى المنفى ! أنت خليفة موسى ! أنت مسيحنا المنتظر !

الرئيس : شكرا شكرا . لاتقاطعونى بهتافكم . إله إسرائيل وحده يعلم من يكون مسيحنا المنتظر . ما أنا إلا رجل منكم يحاول أن يعبر عما يجول فى نفس كل امرئ منكم بل فى نفس كل يهودى سلمت فطرته من تأثير الجوييم فلم تستهوها أفكارهم ومبادئهم التى يسمونها مثلا عليا وهى تهوى بمعتنقيها إلى الحضيض فتعوقهم عن السير فى ركب الخليقة وموكب الزمن .

أصوات : حسانه ! حسانه !

الرئيس : لعل من اليسير عليكم الساعة بعد ما أدركتم حكمة أسلافنا فى عبادة الإلٰهين الصغير والكبير والظاهر والخفى والمحدود والمطلق أن تدركوا أننا سنجرى على هذه السنة فى كفاحنا اليوم فنؤسس لنا هذا الوطن الكبير فى العالم كله . اطمئنوا أيها الإخوة الأعزاء فلن يرحل اليهود جميعا إلى فلسطين فى خطوتنا الأولى ، ولا إلى أرض الميعاد فى خطوتنا الثانية .كلا لا ينبغى أن يفعلوا ذلك ، بل ستبقى جاليات كبيرة منهم حيث كانت فى مراكزها بين شعوب الأرض لتكون ركائز لوطننا المحدود تجند لخدمته كل ما تملك تلك الشعوب من قوى مادية وأدبية . وهكذا سيسير الوطنان المحدود وغير المحدود جنبا إلى جنب صوب الغاية الكبرى .. صوب غاية الغايات حتى يتحقق الميثاق الالٰهى بقيام دولة الدول . ويومئذ يلتقى الوطنان ويتحدان ، يوم يصبح العالم كله وطنا واحدا يتبوأه شعبنا المختار حيث يشاء من مشرقه ومغربه ، وتكون أورشليم كرسى هذه الدولة العالمية الكبرى يقيم فيها ملك الملوك من آل داود الذى تسجد له جميع شعوب الأرض !

أصوات : حسانه ! حسانه ! هللويا !

الرئيس : هل بقى بينكم الآن من يعترض على حركة إنشاء الوطن القومى ؟

الجميع : لا .. لا أحد . لا أحد .

الرئيس : لقد رأينا أن نطلق على هذه الحركة اسم صهيون فما ترون ؟

أصوات : اسم جميل ! اسم إسرائيل أصلح وأجمل ! أجل .. اسم إسرائيل أصلح !

الرئيس : لكنه اسم عنصرى إذا اتخذناه لحركتنا فسيحول دون انضمام غير اليهود إليها فنفقد بذلك أنصاراً كثيرين .

أصوات : هل تريدون إشراك الجوييم فى هذه الحركة ؟ كلا لا نريد أحداً من الجوييم ! نريدها لنا خالصة !

الرئيس : أى بأس فى أن نشركهم فى العمل ونستأثر نحن بالثمرة ؟ هذه سنة أسلافنا من قديم . ألا تذكرون آية التلمود : « كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات أم الأرض دون أن يحتملوا عناء العمل » ؟

أصوات : عجبا لكأننا لم نسمع هذه الآية من قبل قط ! ونحن نتلوها ليلا ونهاراً ! حقا إنك لملهم !

الرئيس : بهذا الاسم « صهيون » سيكون فى وسعنا ألا نثير ارتياب الشعوب التى نقيم بينها أو ننبهها إلى حقيقة غرضنا ، فسيظل مكتوما عنها أننا منفصلون عنها وأن ولاءنا وإخلاصنا لبنى جنسنا وحدهم .

أصوات : حُسانه ! حسانه !

الرئيس : بهذا الاسم سيتاح لكثير من زعماء الشعوب وأفرادها الانضمام إلى حركتنا ، فهى حركة إنسانية عامة كسائر الهيئات الإنسانية العامة التى أنشأها أسلافنا من قبل .. كالماسونية مثلا التى انتشرت محافلها فى جميع أقطار العالم واشترك فيها جميع الشعوب على اختلاف أديانها وألوانها وألسنتها باسم الإخاء البشرى والتسامح الدينى فأمكننا من خلالها بفضل ما سونياتنا الخاصة المندرجة فى تلك الماسونيات العامة أن نحقق الكثير من أهدافنا المقدسة .

صوت : لكن لا يعقل يا سيدى الرئيس أن تلقى هذه الحركة من تأييد

الجوييم ما لقيت الحركة الماسونية .

الرئيس : هذا حق . ولكن يكفينا أن يؤيدها عددغير قليل من الجوييم بما نضرب على الوتر الحساس فى قلوبهم من عواطف الرحمة والشفقة على آلاف من المنكوبين اضطهدوا وشردوا لغير ما ذنب جنوه إلا أنهم ينتمون إلى دين سماوى يعترف معظم سكان العالم بأنبيائه ورسله وكتبه . ثم لاتنسوا أننا لن نقتصر على هذا السبيل وحده فى اجتذاب المناصرين لحركتنا من الجوييم ، فسنشترى لها ضمائر كثير من زعمائهم ورؤسائهم ، إما بالإغداق عليهم من أموالنا السرية أو التهديد بحرمانهم من المصالح التى نملك حرمانهم منها ؛ وأى شعب فى الدنيا لم تصبح جل مصالحه اليوم فى أيدينا ؟

الجميع : حسانه! حسانه !

صوت : لكن كيف السبيل إلى إنشاء الوطن القومى فى فلسطين ؟

أصوات : أجل كيف السبيل إلى ذلك ؟

الرئيس : أول خطوة فى هذا السبيل هى الحصول على اعتراف لنا بحق إنشاء هذا الوطن .

الصوت : أذكر يا سيدى الرئيس أن بعض جمعياتنا قد حاولت الحصول على ذلك من الدولة العثمانية فلم تنجح .

الرئيس : سنعاود الاتصال بالدولة العثمانية فإن لم تنجح هذه المرة فسنحصل على هذا الاعتراف من دولة أخرى .

الصوت : ما قيمة الاعتراف من غير الدولة التى لها وحدها حق التصرف فى فلسطين ؟

الرئيس : سوف تكون الدولة الأخرى هى صاحبة التصرف فى فلسطين !

أصوات : كيف ؟ كيف يا سيدى الرئيس ؟

الرئيس : لا مناص لنا حينئذ من تغيير خريطة العالم ! لنثيرنّها حربا طاحنة تسيل فيها دماء الجويم أنهاراً .. حرباً عبقرية تليق بهذا العصر العبقرى الذى تقدمت فيه وسائل التدمير والتخريب مما لم يخطر على بال أسلافنا من قبل .

أصوات : حُسانه ! هللويا !

صوت : وكيف يا سيدى نثير هذه الحرب ؟ (**يتعالى الضحك من سائر المؤتمرين**)

الصوت : ويلكم ماذا يضحككم ؟

أصوات : كيف لا نضحك من يهودى يسأل هذا السؤال ؟ الحرب يا هذا صناعتنا منذ كنا وكانت ! هل كان عبثا أن سمى إلهنا نفسه رب الجنود ؟

الصوت : هذا الصلف الذى طالما أوردنا المهالك . لكأنما تستطيعون بدعاويكم الفارغة أن تزوّروا وثائق التاريخ !

الرئيس : لو درست تاريخ قومك جيدا لعرفت أنهم طالما زوّروا وثائق التاريخ . لقد زورنا تاريخ ماضينا على العالم وسنزور تاريخ مستقبلنا كذلك .

أصوات : ماذا تقول أيها الرئيس ؟ هذا سب لتاريخنا لا نرضاه منك! أوَ قد جعلت تاريخنا زورا فى زور؟

الرئيس : معذرة يا إخوانى فإنى آخر من ينتقص تاريخ شعبنا المختار . لطالما قلت لأصفيائى إن ما يعوزنا معشر الخلف هو أن نتدبر تاريخ السلف بعيوننا وعقولنا ، لا بعيون الجويم ولا بعقولهم ، حتى نفهم الأمور على وجهها الصحيح . إن التزوير الذى أشرت إليه ليس بعيب بل هو فضل . أتدرون ما الزور وما

الحقيقة ؟

الصوت : الزور ما ليس بحقيقة والحقيقة ما ليست بزور .

الرئيس : هكذا هما عند الجويم . أما عندنا فالزور ما قام فى أذهان الناس أنه زور ولو كان حقيقة ، والحقيقة ما قام فى أذهان الناس أنه حقيقة ولو كان زوراً .

أصوات : بديع ! بديع !

الصوت : زوّروا التاريخ ما شئتم فلن تستطيعوا أن تنكروا أننا لسنا أمة حرب وقتال بل أمة ذل ومسكنة .

الرئيس : إننا لا ننكر ذلك فقد كان ذلنا ومسكنتنا لحكمة كما كان تفرقنا فى أرجاء الأرضِ لحكمة .

الصوت : إذن فكيف يستقيم قولكم إن الحرب صناعتنا منذ كنا وكانت ؟

الرئيس : يا أخى لو استوضحت معنى هذه العبارة من أول الأمر ولم ترخ عنانك لشهوة الجدل العقيم ! حقا ما كنا نحمل السلاح ولا نشهد المعارك ولكنا كنا دائما موقديها من وراء الستار ننفخ فى جمرها حتى يتلظى ونمد الفريقين فيها بالوقود . أفهمت الآن ؟

الصوت : نعم ولكن ...

أصوات : كفى جدلا واعتراضا ! اسكت ! اجلس !

الصوت : ويلكم دعونى أقل ما عندى .

أصوات : لا نريد أن نسمع ما عندك ! احتفظ به لنفسك !

الرئيس : دعوه يقل ما عنده .

الصوت : ماذا يضمن لكم إذا أشعلتم تلك الحرب الطاحنة أن تبلغوا بها الغرض الذى تبتغون ؟ ألا تخشون أن يخرج أمرها من

أيديكم ؟

الرئيس : خير ما أجيبك به أن أدعو هؤلاء الإخوان المؤتمرين لينهض كل واحد منهم فيعلن عن وظيفته ومنصبه . (**يشير إلى الصف الأول**) انهضوا واحداً بعد واحد ! (**ينهضون واحدا بعد واحد**)

الأول : أنا وزير المالية فى فرنسا !

الثانى : أنا وزير العدل فى ألمانيا !

الثالث : أنا نائب رئيس مجلس اللوردات فى بريطانيا !

الرابع : أنا المستشار الإمبراطورى فى النمسا !

الخامس : أنا رئيس مجلس القضاء الأعلى فى الولايات المتحدة .

السادس : أنا رئيس الوزارة فى المجر .

السابع : أنا وزير المواصلات فى إيطاليا .

الرئيس : حسبكم ! فى هذا كفاية ! كيف يخرج أمر الحرب من أيدينا ومنا هؤلاء الأساطين فى مختلف دول العا لم ؟ هذه ثمرة من ثمار السياسة التى جرى عليها أسلافنا من قديم ، وعلينا أن نضاعف جهودنا فى هذا السبيل بتنظيم أدق وتدبير أحكم حتى لا يبقى منصب من المناصب الهامة فى أية دولة من دول العا لم إلا وعلى رأسه رجل منا !

الصوت : وإذا لم يتحقق غرضنا من تلك الحرب ؟

الرئيس : فسوف نتبعها بحرب ثانية فثالثة فرابعة حتى يتحقق !

أصوات : بديع ! بديع !

صوت : ومصالحنا التجارية يا سيدى الرئيس ؟

الرئيس : ما بالها ؟

الصوت : ألا تخافون عليها من تلك الحروب ! (**ينفجر الجميع**

(ضاحكين)

الرئيس : مهلا يا قوم ! لا تسخروا ممّن يريد أن يعلم ، فإن شراً من الجهل التمادى فيه ، وإن خيراً من العلم المخزون العلم المكتسب . (**يكفون عن الضحك**)

الصوت : شكرا لك يا سيدى الرئيس .

الرئيس : ألا تعرف يا أخي تلك الكلمة الخالدة التى قالها أحد حكمائنا : الحرب حرث لنا والسلم هى الحصاد ؟

الصوت : بلى أعرفها يا سيدى الرئيس ولذلك تساءلت .

الرئيس : ماذا تعنى ؟

الصوت : إذا توالت الحروب لم نستطع أن نحصد ما نحرث !

أصوات : بديع ! بديع ! هذا سؤال وجيه ! من رجل حكيم ! صحيح ماذا يفيد الحرث من غير الحصاد ؟

الرئيس : رويدكم ! إنى لم أقصد حروبا متوالية لا يفصل بينها سلم . اطمئنوا على مصالحكم فإنا لن نعيد الحرث أبدا قبل أن نتم الحصاد .

صوت : إذن فسننتظر طويلا قبل أن يتحقق غرضنا المنشود !

الرئيس : ماذا يضيرنا أن ننتظر ربع قرن أو نصف قرن ؟

أصوات : نصف قرن ؟ هذا كثير يا سيدى الرئيس ! لا صبر لنا على هذا الانتظار الطويل!

الرئيس : ويحكم ! أتستكثرون نصف قرن بعد ما انتظرنا عشرين من القرون ؟ (**يخرج ساعته فينظر فيها**) إن قياس الزمن عندنا ليس كقياسه عند غيرنا من الشعوب . ألسنا نحن شعب الخلود ؟

الجميع : بلى ! نحن شعب الخلود !

الرئيس : فلنختتم جلستنا الآن بنشيد شعب الخلود ! (**ينهض فينهضون جميعاً**)

الجمع : (**ينشدون وهم وقوف**)

نحن اليهود !

شعب الخلود !

إلٰهنا رب الجنود .

إلى الحمى سوف نعود .

طبقا لميثاق الجدود .

رغم القيود والسدود .

الأرض ميراث لنا .

وكل شيء فى الوجود .

(**ستار**)

المشهد الثالث

(نفس المنظر كما فى الفصل الأول إلا أن الحية الرمزية فى الخريطة قد استقر رأسها فى فلسطين وصار للرأس وجه يهودى بأنفه المعقوف وعينيه النهمتين .)

(يرفع الستار فنرى إبليس واقفاً يتأمل الخريطة فى نشوة واغتباط ويومئ بيده يمنة ويسرة فى أركان الخريطة كأنه يرسم فى ذهنه خططاً جديدة للعمل . وكلما انتهت يده إلى موقع مصر عبس واكتأب وتنهد .)

ونرى شيطانيه واقفين من خلفه ينظران إليه ويتبادلان الإشارة فيما بينهما كأنهما يريدان أن يكلماه فى أمر ولكن كليهما يتهيب أن يبدأ الحديث فهو يرجو من صاحبه أن يبدأه :

إبليس : **(يرفع يده عن موقع الجمهورية العربية المتحدة وهو يتنهد ويتمتم)** هنا العقبة ! هذا الشعب العربى المقيت ينبعث من جديد ليسد علينا الطريق ! **(يلتفت إلى شيطانيه)** ويلكما ما بالكما واجمين لا ترجعان قولا ؟ أفلستما أنتما أيضاً ؟ أعلىَّ أن أتخذ وزيرين مكانكما من بنى إسرائيل ؟ .

الشيطان الأول : معذرة يا مولانا ماذا تريد منا أن نفعل ؟ .

إبليس : **(يقلد لهجته ساخراً)** معذرة يا مولانا ماذا تريد منا أن نفعل ؟ . ألا تشاركانى فى همى وتفكيرى ؟ ألا تريان إلى هذا الشعب المقيت ينبعث بعد موت ويلتئم بعد تمزق ؟

الأول : لا تبتئس يا مولانا . غداً يضمحل هذا الشعب حين ينبسط ملكوتك فى الأرض .

إبليس : ويلك أنَّى ينبسط ملكوتى إذا بقى هـذا الشوك فى أرض الميعاد ؟ إنه ينمو ويشتجر !

الثانى : لقد كان إلى عهد قريب شوكا يابساً يمكن قطعه وإلقاؤه فى النار فانظر ماذا جعله يخضرُّ من جديد ! .

إبليس : ماذا جعله يخضرّ ؟ .

الثانى : أخشى أن تغضب إن أجبتك .

إبليس : بل أجب ويلك ماذا جعله يخضرّ ؟ .

الثانى : الدولة التى أقمتها لشعبك المختار وسط هذا الشوك .

إبليس : كلا بل كل هذا من مصر !

الثانى : مصر ذاتها كانت شوكا يابساً فما الذى أعاد إليها الحياة ؟

إبليس : ذاك الكتاب البغيض الذى جاء به محمد .

الثانى : هذا الكتاب قد ظل زمنا كالبركان الخامد حتى أقمت هذه الدولة فى أرضه فانبعث وثار ! .

إبليس : ويلك كأنك تحاسبنى ! .

الثانى : أنت دعوتنا للرأى فإن كان يؤذيك سماع الحق سكتنا .

الأول : أجل يا مولاى لقد عيرّتنا بالإفلاس وهدَّدتنا باتخاذ وزيرين مكاننا من بنى إسرائيل .

إبليس : (**بعد صمت قصير**) تريدان أن تقولا إننى أخطأت فى إقامة هذه الدولة ؟ .

الثانى : نعم .

إبليس : فهلا نبهتنى ويلك من قبل ؟ .

الثانى : ما عدت تستشيرنا منذ مؤتمر بال .

إبليس : لا تجود بمشورتك إلا إذا استشرت ؟ .

الثانى : ما كان هذا دأبنا معك ولكنك تغيرت علينا منذ ذلك المؤتمر فصرت تحتقر رأينا فقررنا أن نلزم الصمت .

إبليس : وماذا كنت تشير علىّ أن أصنع بهذا البركان ؟ .

الثانى : تبقيه خامدا مكانه .

أبليس : ويلك لا بد للخامد أن يثور ذات يوم .

الثانى : يوم يثور من تلقاء نفسه يكون لنا معه شأن .

إبليس : أنبقى مهددين به فى كل حين .

الثانى : ذلك خير من أن نثيره ليلتهمنا اليوم .

ابليس : هذا منطق الجبان . ولست بجبان . لأثيرنه حتى يقذف حممه كلها ثم لأخمدنه إلى الأبد ! .

الثانى : لا تنس أنه ذلك الكتاب الخالد الذى أنذرك به عيسى الناصرى يوم رفع .

إبليس : عيسى الناصرى ! . لأثبتن غداً كذب دعواه ! .

الثانى : إنه رسول رب العزة فهو لا يكذب .

إبليس : يكذب أو لا يكذب . لأبطلنّ غداً مازعم .

الأول : (**يومئ للثانى بالسكوت**) أنت يا مولاى صاحب الرأى الأعلى على كل حال .. ونحن ماجئنا اليوم لنناقشك الحساب أو نغضبك ولكنا جئنا لأمر آخر .

إبليس : لأى أمر ؟ .

الأول : جنودك المخلصون يا مولاى .

إبليس : ما بالهم ؟ .

الأول : إنهم مظلومون يا مولاى .

إبليس : وأنا الذى ظلمتهم .. أليس هذا ما تقصد ؟ .

الأول : .... ؟

الثانى : قل له نعم . لم لا تصارحه ؟ .

الأول : انتدبونا يا مولاى لنكلمك .

إبليس : اشغلانى بهذه التوافه . هذا كل ما بقى لى عندكما من تأييد وعون .

الأول : إن كان يغضبك أن نكلمك ...

الثانى : أنت رسول وعليك البلاغ . إن شئت توليت أنا الكلام .

إبليس : بل اسكت أنت وليتكلم هو !

الأول : إن جنودك المخلصين يجدون فى أنفسهم أنك أهملتهم وانقطعت عن لقائهم ورعايتهم فهم ساخطون متذمرون .

إبليس : ماذا أصنع لهم ؟ لم يبق لهم عندى أى عمل .

الأول : لا ينبغى أن تتكل كل الاتكال على هؤلاء اليهود فإنهم بعد لمن بنى آدم عدوك ولا نأمن أن ينقلبوا يوماً ما عليك .

إبليس : كلا إنهم لم يعودوا اليوم من بنى آدم . ألا تراهم يتقدون حقداً على البشر ويشمتون بما يصيبهم من نكبات ؟ ألا تدرى ماذا يعتقدون فى غيرهم من البشر ؟

الأول : بلى . يعتقدون أن غيرهم من البشر حيوان ليستغلوه ويسخروه .

الثانى : وأن رب العزة قد خلق هذا الحيوان على صورة الإنسان تأنيساً لهم .

إبليس : إذن فكيف تزعمان بعدُ أنهم من بنى آدم ؟

الأول : أنت يا مولاى الذى أوحيت إليهم بتلك العقيدة .

إبليس : وأى بأس فى ذلك ؟

الثانى : لا يبعد أن يدركوا يوماً فساد هذه العقيدة وأن عليهم أن يتآخوا

مع بنى جنسهم من البشر .

إبليس : كلا إن ذلك لن يكون أبداً . لقد انسلخوا من البشرية وصاوروا شعبى وأبنائى .

الأول : والشياطين يا مولاى أليسوا أيضاً شعبك وأبناءك ؟

إبليس : بلى .

الأول : فقد أصبحوا غرباء عنك وشعروا أنهم لم يعد لهم مكان فى قلبك فكأنك تخليت عنهم وأنكرت صلتهم بك .

إبليس : كلا ما تخليت عنهم ولا أنكرت صلتهم بى فهم منى وأنا منهم ، ولئن آثرت اليهود عليهم فلأن اليهود أصبحوا أبرع وأقدر على القيام برسالتى منهم ، فهل أنا فى هذا ظالم ؟ إنما الظلم أن أسوى بين النابه والخامل وبين القادر والعاجز .

الثانى : لقد طلبوا مقابلتك من زمن بعيد فما أجبتهم إلى طلبهم حتى اليوم .

إبليس : ماذا يريدون منى ؟ إنى عنهم فى شغل .

الأول : يريدون أن يشكوا حالهم إليك لعلك ترق لهم فتنصفهم .

إبليس : شكوى العجزة من عجزهم ! ما عندى وقت لسماع مثل هذه الشكوى .

الأول : قابلهم يا مولاى ولو مرة واحدة فى السنة .

إبليس : ماذا أقول لهم وماذا يقولون لى ؟ لم يعد لديهم ما يعرضونه علىّ من عمل و لم يعد عندى ما أكلفهم به ففيم المقابلة ؟

الأول : إنهم ليشكون أيضاً من عدم تكليفك إياهم بالأعمال .

إبليس : أجيبانى بالحق والإنصاف : هل تريانهم يقدرون أن يقوموا برسالتى مثل ما يقوم بها اليهود ؟

الأول : لا نستطيع أن ننكر أن اليهود قد أصبحوا أبرع وأقدر ولكن

تستطيع يا مولاى أن تسند إلى هؤلاء بعض الأعمال الهيّنة .

إبليس : فى هذا العصر العبقرى أصبحت الأعمال كلها تحتاج إلى المهارة والبراعة .

الأول : إذن فقابلهم هذه المرة فقط واشرح لهم عذرك هذا لعلهم يقتنعون ويرضون . أما أن تتركهم هكذا بغير شرح ولا مجاملة فهذا كثير على نفوسهم . وإنهم بعدُ لجنودك الأوفياء الذين كافحوا معك طوال الدهور و لم يتخلوا عن طاعتك ومحبتك منذ خرجوا معك على رب العزة .

إبليس : لا بأس . ائذنا لهم بالمثول عندى على ألا يطيلوا المكث .

الأول : شكراً يا مولاى . سننطلق لنزف إليهم هذه البشرى !(**يهمان بالخروج**)

إبليس : على رسلكما . قولا لهم يختاروا جماعة منهم تمثلهم فإنى لا أريد أن يحبيئنى غوغاؤهم فيوجعوا رأسى ! (**يخرج الشيطانان**)

إبليس : (**يتأمل فى الخريطة من جديد ويتمتم**) فان فى الفانين ولكن كتابه سيبقى إلى أبد الآبدين ! (**يعود الشيطانان ومعهما جماعة من الشياطين من ذكور وإناث فيركعون لإبليس وهو متشاغل عنهم بعدبالخريطة**) .

إبليس : (**يلتفت نحوهم فيجدهم راكعين**) ويلكم ماذا حملكم على الركوع ؟ إنى لم أعوّدكم على هذه المذلة !

الجماعة : ركعنا اليوم يا مولانا استعطافا وتوسلا لعلك أن تعود معنا إلى سابق عطفك ورضاك.

إبليس : هذا يقصيكم منى أكثر . أنتم لا تصلحون لشيء. لقد ذلت نفوسكم فأصبحتم غير جديرين بصحبتى أنا الـذى أبى واستكبر لما أمر بالسجود !

الجماعة : أنت يا مولانا السبب فى مذلتنا وهواننا .

إبليس : كذبتم . أنا ما أمرتكم أن تذلوا .

الجماعة : أى إذلال يا مولانا أكبر من أن تهملنا ستين عاماً ؟

إبليس : ستين عاماً ؟

الجماعة : منذ انعقد ذلك المؤتمر المشئوم فى مدينة بال .

إبليس : ألم أقل لكم إنكم لا تصلحون لشىء ؟ كيف تسمون ذلك المؤتمر مشئوما وهو نقطة الانطلاق لبسط ملكوتى فى الأرض ؟ لولاه لما قامت الحربان العالميتان ولما قامت دولة إسرائيل فى فلسطين !

الجماعة : كل مايقصينا عنك فهو عندنا مشئوم .

إبليس : هذا برهان جديد على أنكم ما عدتم تهتمون بقضيتى ولا برسالتى فسيان عندكم أن يقترب قيام ملكوتى أولا يقترب ، وأن تقوم الحروب التى تحصد الملايين من بنى آدم أولا تقوم ، وأن ينتشر الفساد فيهم أولا ينتشر . أصبح كل ما يهمكم هو حظ أنفسكم ، أصبحتم أنانيين تافهين عاجزين لا تصلحون لشىء !

الجماعة : ما عدت تكلفنا بعمل ففقدنا براعتنا وذكاءنا ونشاطنا وصرنا خاملين .

إبليس : بل عكستم الآية . ما انقطعت عن إسناد الأعمال إليكم إلا حين رأيتكم عاجزين خاملين ووجدت غيركم أنشط وأبرع وأقدر !

الجماعة : أتحت لليهود الفرصة فبرعوا ، ومنعتها عنا فحل بنا العجز والخمول .

إبليس : الجدال واللجاج ! هذا كل ما بقى لكم من مقدرة . انظروا

إلى أبنائى اليهود فإنهم لا يجادلوننى بل ينفذون أوامرى قبل أن أصدرها إليهم . ويلكم هل كان فى وسعكم أن تثيروا الحرب العالمية الأولى أو الحرب الثانية ؟ هل أستطيع أن أكل إليكم إقامة مجزرة ثالثة ؟

الجماعة : لو أرشدتنا لربما استطعنا .

إبليس : ولكنهم استطاعوا دون أن أرشدهم . إنهم يعرفون مشيئتى فهم ينفذونها من تلقاء أنفسهم . أفلا يحق لى أن أوثرهم عليكم ؟ أفأنسى رسالتى فى تحدى رب العزة من أجل خاطركم أنتم العجَزة الخملة الحَسدة ؟

الجماعة : لو كنا نعلم أن مصيرنا منك الإهمال والإذلال لما أعناك على إبراهيم وموسى وعيسى ، وإذن لما استطعت أن تختطف بنى إسرائيل من أيديهم فتجعلهم شعبك المختار .

إبليس : ها . ندمتم على المجهود الذى بذلتموه ؟!

الجماعة : نعم .

إبليس : هذا برهان آخر ! ما كفاكم أنكم عاجزون حتى أضفتم إلى العجز قلة الإخلاص للرسالة وقلة الاهتمام .. فارقونى إذن فلا حاجة بى إليكم !

الجماعة : الآن تتخلى عنا بعد ما ربطنا مصيرنا بمصيرك ؟

إبليس : أنتم الذين تخليتم عن الرسالة !

الجماعة : كلا ما تخلينا عنها وما زلنا لها مخلصين .

إبليس : لو صح ما تقولون لسركم أن تروها تتقدم على أيدى غيركم وتسجل انتصاراتها الباهرة فهكذا يكون الإخلاص !

الجماعة : هل كان يسرك أنت لو تخلى هؤلاء اليهود عنك وخدموا الرسالة دون أن يعترفوا بك ؟

إبليس : كلا لن يفعلوا ذلك .

الجماعة : لو فعلوا أكان يسرك ؟

إبليس : نعم .

الجماعة : هذا غير معقول !

إبليس : (**يستشيط غضباً**) تباً لكم ! كيف تجرؤون على جدالى بهذه اللهجة ؟ أوَ قد غركم حلمى وطول احتمالى ؟

الجماعة : ماذا تستطيع أن تفعل بنا بعد ؟

إبليس : أنتم مطرودون من خدمتى . اغربوا من وجهى ! اذهبوا عنى .. فارقونى إلى الأبد ! (**يقفون واجمين لا يدرون ماذا يفعلون**) . ماذا تنتظرون بعد ؟ قد استغنيت عنكم .. أما تفهمون ؟

الثانى : هذه إهانة لا نقبلها منك !

إبليس : وما شأنك أنت ؟

الثانى : إنهم قومى وقد أهنتهم فكأنك أهنتنى !

إبليس : ها .. أنت إذن كنت المحرّض !

الثانى : ليسوا بحاجة منى إلى تحريض .

إبليس : فماذا تريد ؟

الثانى : اعتذر لهم واسحب كلمتك وإلا فلأذهبن معهم عنك !

إبليس : اذهب ؟ اذهب معهم يا وغد ! أنت أيضا تأكل قلبك الغيرة من شعبى المختار !

الثانى : نحن بنى النار لن ندعك أبدا تركب على ظهورنا أبناءك القِردَة !

إبليس : أيها الحمير العُرج ! إنى لأربأ بأبنائى سادة العالم أن يمتطوا ظهوركم ! اغرب من وجهى !

الثانى : هيا بنا يا قوم ! لا نحن أقل منه ولا هو أعظم من رب العزة !

(يخرج فيخرجون وراءه)

إبليس : (**للشيطان الأول**) وأنت أتريد أن تذهب معهم ؟

الأول : لا يا مولاى إنى باق فى خدمتك ولن أفارقك أبداً .

إبليس : وتعترف بالفضل لأبنائى سادة العالم ؟!

الأول : أعترف يا مولاى !

(ستار)

المشهد الرابع

(يرفع الستار عن الشيطان الأول واقفا وحده يتأمل فى الخريطة .)

(يدخل الشيطان الثانى متسللا حتى يدنو من الشيطـان الأول)

الثانى : (**بصوت خافض**) أين مولانا ؟

الأول : (**يجفل مرتاعا ويلتفت خلفه**) أنت ؟ ماذا جاء بك ؟

الثانى : أين مولانا ؟

الأول : لم تسأل عنه ؟ ماذا تريد ؟

الثانى : أريد أن أتحدث إليك دون أن يسمعنى .

الأول : إنه فى الكنيست يشهد جلسة هناك . خبرنى ماذا بك ؟

الثانى : (**يكاد يغلبه البكاء**) ..؟

الأول : ما خطبك ؟ ماذا دهاك ؟

الثانى : إنى نادم على ما فعلت .

الأول : اختلفت معهم ؟ تخلوا عنك ؟

الثانى : بل هم أيضاً عادوا معى نادمين .

الأول : ما خطبكم ؟ ماذا جرى ؟

الثانى : أصبحنا شرداء طرداء فى هذا الكون لا ندرى ماذا نعمل ولا أين نذهب ، كلما اقتربنا من كـوكـب سدت أبوابـه فى وجوهنا ، فقررنا أن نجتاز مدار الكواكب ونجوس خلال الفضاء المطلق لعلنا نجد مكانا نأوى إليه ولكننا ما كدنا نفعل

حتى دارت رؤوسنا من هول ما شهدناه ، فقد خيّل إلينا أن الفضاء يدور بنا فى سرعة مخيفة حتى ما عدنا نبصر شيئا فكأننا عُمي يسيرون فى ظلام دامس . ثم طغى علينا إحساس غريب بأن أجسامنا تريد أن تنفصل ذراتها بعضها عن بعض لتتناثر فى الفضاء .

الأول : ياللهول فماذا صنعتم ؟

الثانى : تماسكنا وتلاصقنا حتى صرنا كتلة واحدة ، فكررنا كذلك على أعقابنا إلى أن خرجنا من الفضاء المطلق ودخلنا فى مدار الكواكب مرة أخرى فتنفسنا الصعداء وأخذنا يهنّئ بعضنا بعضا بالنجاة وإذا كثير منا قد فقدوا فلم يعد لهم أثر .

الأول : أين ذهبوا ؟

الثانى : لا ندرى .. ابتلعهم الفضاء .

الأول : يا للكارثة ! ثم ماذا ؟

الثانى : طفقنا نتشاور فأجمعنا أمرنا على أن نعود إلى زعيمنا تائبين وليفعل بنا ما يشاء .

الأول : خيرا صنعتم فإنى أيضا قد شعرت بالوحشة لما مضيتم عنا .

الثانى : أملنا فيك أن تشفع لنا إليه .

الأول : على شرط ألا تتعرضوا لشعبه المختار مرة أخرى .

الثانى : نعاهدك أننا لن نتعرض لهم مرة أخرى .

الأول : لا من قريب ولا من بعيد .

الثانى : لا من قريب ولا بعيد .

الأول : إنهم يقومون برسالتنا خيرا منا فماذا علينا لو تركناهم واسترحنا نحن ؟

الثانى : صدقت . سنخلد نحن إلى الراحة وسنرى ما يفعل قروده

هؤلاء !

الأول : ويلك ما زلت تبطن الثورة فى نفسك !

الثانى : معذرة إنما هى زلة لسان .

الأول : احفظوا ألسنتكم جيدا إن شئتم أن يرضى عنكم .

الثانى : سادة العالم .. سندعوهم سادة العالم كما يدعوهم هو !

الأول : (**ينظر إلى ناحية الباب**) وى ! إنه قد أقبل !

الثانى : (**مرتاعا**) لا أريد أن يرانى قبل أن تشفع لنا إليه .

الأول : انتظرنى فى الخارج . (**ينسل الثانى خارجاً**)

(**يدخل إبليس عابس الوجه ملتاث الخطى يترنح من إعياء ويأس**)

إبليس : أدركنى ! أدركنى !

الأول : (**يخف إليه فيأخذ بيده حتى يجلسه على كرسيه وهو يلهث ويتأوه**) ما خطبك يا مولاى ؟ ماذا أصابك ؟

إبليس : هذا أسوأ يوم مر بى منذ خرجت على رب العزة .

الأول : ماذا جرى ؟

إبليس : أنكرونى وكفروا بى !

الأول : من ؟

إبليس : أبنائى .

الأول : اليهود ؟

إبليس : نعم .

الأول : تخلوا عن رسالتك يا مولاى ؟

إبليس : يا ليت . لو تخلوا عن رسالتى لكان أهون .

الأول : ماذا فعلوا ؟

إبليس : سرقوا رسالتى منى ثم أنكرونى . اعتبرونى وهماً من الأوهام ..

اعتبروني خرافة !

الأول : لعلهم قصدوا رب العزة بإنكارهم .

إبليس : كلا لقد كفروا برب العزة من قديم ولكنهم كفروا بي أنا أيضاً اليوم .

الأول : هوِّن عليك يا مولاى فلن يضيرك إنكارهم ما داموا يقومون برسالتك .

إبليس : ويلك ليضحكن رب العزة وملائكته ملء أفواههم من خيبة مسعاى .. لقد اصطفيت هؤلاء اليهود ، واتخذتهم شعبى المختار ، وقضيت القرون أنفخ فيهم من روحى ، وأفيض عليهم من ذكائى وعبقريتى ، وأجمع فى أيديهم الذهب ليسودوا به على العالمين ، حتى إذا أقمت لهم دولتهم فى فلسطين وأوشكت أن أبسط بهم ملكوتى على الأرض لأطاول به ملكوت السماء تخلوا عنى وأنكروا وجودى . أنا الذى أكدت وجودى كما لم يؤكد وجوده مخلوق قبلى ولا بعدى حين تحديت رب العزة وأعلنت عصيانه فى وجهه ، يجىء هذا الشعب الذى اصطفبته ليقوم برسالتى ويكون عونى فى إقامة ملكوتى وحمل الناس على عبادتى وتقديسى ، فيلغى وجودى ويلغى التاريخ المجيد الذى سجلته لنفسى فى كتاب الزمن !

الأول : هذا ما كان جنودك المخلصون يتوجسون منه أن يقع .

إبليس : أجل يا ليتنى استمعت لشكواهم فقد كانوا على حق . يا ليتنى ما طردتهم من عندى !. إذن لكانوا معى فى محنتى اليوم .. واشقوتاه .. إنى وحيد !.. وحيد ! وحيد !.

الأول : كلا يا مولاى ما أنت بوحيد .

إبليس : لأنك أنت معى ؟. ويحك أأنازع رب العــزة سلطانــه

ولا سلطان لى إلا على مخلوق واحد ؟ . أى هزؤ هذا وأيّة سخرية ! .

الأول : كلا لست وحدى معك .. كل جنودك من بنى النار معك .

إبليس : ماذا تقول ؟ .

الأول : أتقبلهم يا مولاى إن عادوا إليك ؟ .

إبليس : من غير شك .

الأول : أبشر إذن فقد عادوا إليك نادمين .

إبليس : أين هم ؟ .

الأول : سأدعوهم إليك . (**يخرج**)

إبليس : (**ينهض من مقعده**) وابشراى .. إنهم سينقذوننى من هذه الوحدة القاتلة ! . لكن ماذا أنا صانع بهم ؟ . هل أستطيع أن أستعيد بهم سلطانى على هؤلاء اليهود أو أسترد رسالتى من أيديهم ؟ . هذا محال .. لقد غلبونا على كل شىء وأنا السبب .. أجل .. كنت أنا السبب .. ياويلتا ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع ؟ . (**يعود الشيطان الأول ومعه الشيطان الثانى وخلفهما جماهير الشياطين حتى يمتلىء بهم المكان**) :

إبليس : (**يعانق الشيطان الثانى**) أهلا بك .. مرحباً بكم جميعاً يا أبنائى الأعزاء .. لقد ندمت على ما كان منى فى حقكم وأيقنت ألاّ غنى لى عنكم أبداً .

الثانى : شكراً لك يا مولاى .. لقد ندمنا نحن أيضاً على ما كان منا ، وأيقنا أننا لا نستطيع أن نعيش بغير قيادتك وزعامتك ..

إبليس : (**للشيطان الأول**) هل أبلغتهم ما فعل بى هؤلاء اليهود ؟

الأول : نعم يا مولاى فحزنوا جميعاً واستاؤوا .

إبليس : اللوم كله علىّ .. أنا بالغت فى تدليلهم فبطروا نعمتى

وجحدوا فضلى .

أصوات : لا تبتئس يا مولانا فنحن معك ! لنجتهدن منذ اليوم ! لنثقفن أنفسنا فى كل فرع من فروع المعرفة ! لنأخذنّ بأساليب هذا العصر ولن يهدأ لنا بال حتى نتفوق مرة أخرى على هؤلاء اليهود ! لن ندعك تعتمد على غيرنا أبداً .

إبليس : يا أبنائى الأعزاء ليس فى مستطاعكم أن تتفوقوا على هؤلاء ولو قضيتم عشرين ألف سنة (**همهمة استياء وخيبة أمل**) لا يسوءنّكم قولى فما أردت أن ألومكم ! أو أغضّ من قدركم .

أصوات : ألا توليننا شيئاً من ثقتك ؟ ألا تتيح لنا فرصة للنجاح ؟

إبليس : يا أبنائى إنى أعرف بهؤلاء منكم وأعرف بكم من أنفسكم ..

الثانى : أنت إذن لا ترانا أهلا لأن نكون جنودك ! .

إبليس : بلى يا أبنائى أنتم جنودى وستبقون جنودى إلى الأبد ، ولكنى أدعوكم إلى سبيل آخر : ماذا لو دعوتكم أن تتوبوا إلى رب العزة ؟ .

الجمع : نتوب إلى رب العزة ؟! (**ينظر بعضهم إلى بعض متعجبين**)

إبليس : هل تطيعون لو دعوتكم ؟ .

الثانى : وأنت يا مولانا تتوب معنا ؟ .

إبليس : أنا على رأسكم .

الجمع : إذن نطيعك وليكن ما يكون !

الأول : والرسالة يا مولاى ماذا يكون مصيرها ؟

إبليس : الرسالة لم تعد رسالتنا . قد أصبحت رسالة هؤلاء اليهود . علام نتحمل وزرها وقد اغتصبوها منا واستأثروا بها من دوننا ولم يتركوا لنا حتى التعلل بمجدها الكاذب ؟ فلنلقها عن ظهورنا إلى ظهورهم ليذوقوا وبال أمرهم يوم الدين ، ولنعد

نحن تائبين إلى خالقنا رب العزة ورب العرش العظيم .

الثانى : لكن هل يقبل توبتنا رب العزة ؟

إبليس : إن يقبل ففضلاً منه وإن لم يقبل فعدلاً منه ، وما علينا إلا أن نقرع بابه .

الجميع : قدنا إلى أى سبيل تشاء فنحن معك .

إبليس : هيا إذن توجهوا معى إلى رب العزة بقلوبكم خاشعة منيبة وأمنوا على دعائى : (**يرفع يديه إلى السماء فيفعلون مثله فى خشوع وابتهال**) اللهم إنى أعلم أن الكبرياء هى التى أخرجتنى من طاعتك وأنك كنت خليقا أن تقبل توبتى لو أننى تبت من معصيتك . ولكنى تماديت فى كبريائى حتى تحديتك فاستوجبت الطرد من رحمتك . اللهم إنك أمرتنى بالسجود لآدم لا لتكرمه وتذلنى ، فقد خلقتنى من نار وخلقته من طين ، ولكن لتبلو مدى إخلاصى فى عبادتك ، واعترافى بربوبيتك ، فترفعنى فوق سائر ملائكتك درجات ، إذ كنت قد خصصتنى من دونهم جميعاً بشرف الحرية وكرامة الاختيار . غير أن كبريائى أنستنى يومئذ أنك ما أمرتنى بالسجود لآدم إلا لأنك لم تجد أرفع قدراً منى ولا أخس قدراً منه ، فالسجود له إنما هو سجود مضاعف لجلالتك . اللهم إن سقطت أمس فيما بلوتنى فبؤت بغضبك ولعنتك ، فابلُنى اليوم مرة أخرى لعلى أفوز فيها برضاك ورحمتك فإنك أنت المبدئ المعيد . مرنى اليوم بالسجود لأهون بعوضة أو أحقر حشرة من صنع يدك ، فستجدنى أمرِّغ جبهتى فى التراب خاشعا متضرعا ألف ألف عام ! اللهم هأنذا أذل كبريائى لكبريائك ، وأخلع رداء غرورى لرداء عظمتك ،

تائباً إليك توبة لم يتبها إليك أحد قبلى ولن يتوبها أحد بعدى ، إذ لم يعصك معصيتى أحد ولن يعصيك معصيتى أحد ، إلا أن تشاء مما يقصر عنه علمى وأحاط به علمك ، فاقبل اللهم توبتى فإنك أنت التواب الرحيم ! آمين .

الجميع : آمين ! آمين ! (**يسمع صوت علوى كأنه آت من كل جهة**)

الصوت : إبليس ! إبليس !

إبليس : جبريل ! أهذا صوتك يا جبريل ؟

الصوت : نعم .

إبليس : ما أسعد أن يتلاقى صوتانا بعد هذا الفراق الطويل !

الصوت : قد سمع الله دعاءك يا إبليس !

إبليس : (**يهتف فرحاً**) الحمد لله رب العالمين !

الجميع : (**يهتفون**) الحمد لله رب العالمين !

الصوت : فغفر لك ما أبيت السجود لآدم .

إبليس : حمداً لك اللهم !

الجميع : حمداً لك اللهم !

الصوت : وتجاوز لك عما تحديته عز وجل !

إبليس : حمداً لك اللهم !

الجميع : حمداً لك اللهم !

الصوت : وعفا عما دون ذلك مما جنيت .

إبليس : حمداً لك اللهم يا عفو يا رحيم .

الجميع : حمداً لك اللهم يا عفو يا رحيم .

الصوت : ولكنه لن يقبل توبتك حتى يتوب معك قوم كانوا من الموحّدين فرددتهم أسفل سافلين .

إبليس : مولاى ما أنا بإله فتكلفنى مالا يقدر عليه سواك ولكنى برئت منهم اليوم فليسوا منى ولست منهم فى شىء .

الصوت : الله جل جلاله أحكم وأعدل من أن يقبل توبة إبليس واحد إذا ترك من خلفه ستة عشر مليون إبليس يفسدون فى كل ركن من أركان الأرض !

إبليس : اللهم هؤلاء شياطينى سأجعلهم جميعاً يتوبون معى إليك .

الصوت : هيهات إن إبليسا واحداً ليعدل عنده كل هؤلاء الشياطين .

إبليس : إنه إذن لا يحب لى ولا لشياطينى أن نتوب .

الصوت : بل التوبة مقبولة منك إن تاب معك اليهود !

إبليس : لوأراد توبتى حقا لما علق قبولها بأمر مستحيل .

الصوت : أما شياطينك فمقبولة منهم متى شاؤوا .

الجميع : إذن فإنّا تائبون ! إنّا تائبون !

إبليس : (**يصيح**) ويلكم هذه دسيسة ! أين يذهب بعقولكم ؟ لو شاء حقا أن يتوب عليكم لتاب علىّ ، ولكنه إنما يريد أن يستدرجكم ليمكر بكم فهو أعظم الماكرين .

الجميع : صدقت يا مولانا إنه أعظم الماكرين .

الصوت : ما زلت يا إبليس على كفرك وعنادك . إن الكبرياء التى دفعتك أمس إلى الخروج على الكبير المتعال هى التى دفعتك اليوم إلى استغفاره لتوارى به خزيك لما شب أبناؤك عن الطوق فأنكروك وجحدوك .

إبليس : (**فى شموخ واعتزاز**) لأعودن إليهم ولأصالحنهم فلعمرى لأن أقبل الضيم ممن أمنّ عليهم أهون عندى من أقبل الضيم ممن يمن على ! ألا فقل له يا جبريل إنى إنما عرضت التوبة لأبلوه حتى أثبت لشياطينى وللملائكته أنه لا يعفو ولا يرحم ولا ينسى

الانتقام ! وها أنذا قد بلغت من ذلك ما أريد . قل له إنى تحديته أمس وأنا إبليس واحد فكيف أرجع عن تحديه اليوم ومعى ستة عشر مليون ! قل له إن انتصارى على الأبواب وملكوتى يوشك أن ينبسط على الأرض ! قل له إنى قد دنست الأرض المقدسة ولأدنسنّ من بعدها العالم ثم لأغزون السماوات ولأنازلنّه فى الكون المطلق ! .. جبريل ! جبريل ! ما لك لا تجيب ؟ أوقد خشيت أن تحمل إليه قولى هذا ؟ فانظر إذن إلى عظمة من تفوه به ! لا بأس .. إن لم تنقل إليه قولى فإنه هو يسمع !!

الجميع : (**يهتفون له معجبين**) بديع ! بديع ! انتصرت على جبريل ! هزمته هزيمة ساحقة ! أفحمته ببيانك فاندحر ! النصر لك ! والمجد والعظمة لك !

إبليس : (**مزهوا**) هل فيكم بعد من يريد أن يتوب ؟

الجميع : لا أحد ! لا أحد ! نحن معك إلى الأبد ! إلى الأبد !

(ستار)

المشهد الخامس

(يرفع الستار عن إبليس وحده يذرع المكان جيئة وذهابا وهو مستغرق فى تفكير عميق .)

إبليس : (يتمتم) ستة عشر مليون إبليس ! قد صرت أنا فرداً من هؤلاء . واخيبتاه وواعاراه ! أبعد هذا التحدى الطويل لرب العزة ، وهذا الجهد العنيف فى منازلته ، ينتهى بى الحال إلى هذا التضاؤل فأصبح فرداً من ستة عشر مليون مخلوق فى الأرض ؟ أين إذن امتيازى على الخليقة كلها ؟ هذه لا ريب مكيدة جديدة من رب العزة ليذلنى ويمرغ كبريائى فى التراب ! كلا كلا لن أرضخ لهذا ولن أستكين .لأحبطن كيده ولأبطلن تدبيره ! (**يضع رأسه بين كفيه ويضغط بهما عليه فى قوة**) أيها الذهن المتوقد فى رأسى ألا ترسل قبساً يضىء لى هذه المشكلة المظلمة ؟ إلى متى أقدح فيك فلا تنقدح ؟ هل علىّ أن أكسر هذه الجمجمة لأستخرج من تلافيفك الحل الذى أريد ؟ (**يتداعى على كرسيه فى يأس فيطرق حتى يكاد رأسه يلامس ركبتيه وقد دفنه بين ذراعيه**) أواه كيف السبيل ؟ لابد من حل . لكل مشكلة حل . إنه موجود فى ذهنى لا ريب ..ولكن كيف أستخرجه ؟ (**يرفع رأسه فجأة**) وى ! إنه لمع ! لكنى لا أرى شيئاً.لا بأس .. انتظر قليلا .. سيلمع مرة ثانية .. (**يفتح عينيه حتى يرتفع حاجباه ويصر بأسنانه وهو يغمغم**) سيلمع مرة ثانية .. سيلمع .. (**يقفز**

من الأرض) . وجدتها ! وجدتها **(يتمايـل فى نشوة غامرة)** . التهجين .. التهجين ! مزج هؤلاء بهؤلاء .. حل رائع ! سيرفع الشياطين قليلا إلى مستوى اليهود ويخفض اليهود قليلا عن مستواى فأبقى أنا وحدى بلا نظير ! **(يتلفت يمنة ويسرة كأنه يخشى أن يسمعه أحد ثم يرفـع رأسه إلى السماء)** أنت تسمع ؟ لا أبالى ! ينبغى أن تسمع أنت لتعلم أن كيدى أنا أيضاً متين !! **(ينكت على ظهر كرسيه كمن يضرب جرساً لاستدعاء أحد)** .

(يدخل الشيطانان مسرعين)

إبليس : **(يجلس)** ادنوا منى فسأفضى إليكما بقرار خطير .

الشيطانان : خير يا مولانا .

إبليس : كنت أوصيتكما بالتفكير فى مشكلة إخوانكما الشياطين فهل اهتديتما إلى حل ؟

الأول : لا يا مولاى لم يفتح علىّ بحل .

إبليس : **(الثانى)** وأنت ؟

الثانى : لست أراها فى حاجة إلى حل ، فقد قبلوا جميعاً حين عادوا إليك نادمين أن تصنع بهم ما تشاء . إن رأيت أن تسند إليهم عملا فهم راضون ، وإن رأيت أن تتركهم بلا عمل فهم راضون .

إبليس : ويلك ما جئتنا بجديد ولكن كيف يجوز لنا أن نستغل ضعفهم وانكسارهم فنتركهم بلا عمل ونحن نعلم أن ذلك يؤذيهم ويحز فى نفوسهم ؟

الأول : ما أبرّك يا مولاى بجنودك وأتباعك !

إبليس : إنهم لأهل لذلك . لن أنسى أبداً يوم أغراهم جبريل ليتوبوا

إلى رب العزة نكاية بى فأبوا جميعاً وآثروا البقاء معى إلى النهاية .

الثانى : صدقت يا مولاى . إن عجزنا أن نجد لمشكلتهم حلا فإنه لن يعجزك .

إبليس : اعترفتما بالإفلاس ؟

الشيطانان : اعترفنا .

إبليس : علىّ بهم الساعة لأفضى إليهم بما عندى !

الثانى : ألا تكاشفنا به أولا ؟

إبليس : لو كان عندكما رأى يفيد لفعلت . حسبى منكما أن تؤيدانى فى كل ما أقول وخلاكما ذم . انطلقا فادعوا الرؤساء والرئيسات .

(يخرج الشيطانان ثم يعودان ومعهما الرؤساء والرئيسات حتى يمتلئ بهم المكان)

إبليس : يا معشر بنى النار إنى سائلكم فأجيبونى . هل يرضيكم أن تبقوا هكذا بلا عمل ؟

الجمع : لا يا مولانا .. نريد أن نعمل !

إبليس : لو استطعت أن أستغنى بكم اليوم عن اليهود لانتزعت رسالتى من أيديهم فأعدتها إليكم . ولكنكم تعلمون أننا لم نعد نستطيع الاستغناء عنهم بعد ما صاروا أبرع منكم وأمهر . لذلك قررت أن تشتركوا معهم فى العمل فهل تقبلون ؟

الجمع : نقبل يا مولانا .. نقبل !

إبليس : لقد فكرت طويلا فلم أجد إلا سبيلا واحدا هو أن تمتزجوا بهم وتندمجوا فيهم فتقتبسوا من براعتهم وتشتركوا فيما يعملون .

الجمع : لكن كيف يا مولانا نندمج فيهم ؟

إبليس : الذكور منكم يتسربون فى رجالهم فتكون لكم زوجاتهم !

الذكور : تكون لنا زوجاتهم ؟

إبليس : نعم .

الذكور : ويحملن منا ؟

إبليس : يحملن ويلدن .

الإناث : ونحن يا مولانا ؟

إبليس : تتسربن فى نسائهم فيكون لكن أزواجهن .

الإناث : ونحمل منهم ؟

إبليس : تحملن وتلدن .

صوت : ولمن يكون الأولاد ؟ لنا أم لهم ؟

إبليس : سيكونون جيلا هجينا منكم ومنهم فلا يقدر اليهود بعد ذلك أن يستأثروا بالرسلة من دونكم أو يتربعوا وحدهم على عرش ملكوتى إذا انبسط . موافقون ؟

الجمع : موافقون ! موافقون !

صوت : هل لى أن أسأل أيضا يا مولاى ؟ .

إبليس : سل ما تشاء .

الصوت : هؤلاء اليهود يموتون ونحن لا نموت .

إبليس : ستموتون أنتم كما يموتون .

الجمع : نموت ؟ كلا لا نقبل إذن ! لا نريد أن نموت ! نريد أن نبقى خالدين ! .

إبليس : ويلكم ليس فى المستطاع الجمع بين التوالد والخلود .

الجمع : ما الذى يمنع ؟ .

إبليس : وجهوا هذاالسؤال إلى غيرى ! وجهوه إلى ذاك الذى وضع هذه السنّة فى الخليقة ! .

الجمع : غيّرها يا مولانا، بدّل هذه السنة !

إبليس : لا تطلبوا ذلك منى اليوم .. اطلبوه منى يوم يتم انتصارى عليه.

الإناث : قد قبلنا يا مولانا . نشتهى أن نلد ، ولا بأس أن نموت .

الذكور : لكنا لا نريد أن نموت .

إبليس : ويلكم لاتكونن النساء أهدى سبيلا منكم . أتدرون ما هذا الموت الذى تخشون منه ؟ إنما هو نوم طويل يستريح صاحبه من عناء الحياة وضجيجها ثم يبعث حيّا من جديد .. ياليته كان ضربا من العدم ! . إذن لعجز رب العزة أن يحاسب أحداً أو يعاقبه . لقد قضى على كل ذى روح بالخلود ، لافرق بين من يموت فى هذه الحياة ومن لا يموت . إلاّ أن الأول يؤذن له أن يستريح والثانى لا يؤذن له أن يستريح . الأول ذو حياة واحدة لاتتجدد ، والثانى تتجدد حياته فى ذريته جيلا بعد جيل . الأول لا يشعر بقيمة الزمن فيخلد إلى التسويف والتأجيل ، والثانى يشعر بقصر الحياة فيبادر إلى استخلاص ما يمكن استخلاصه منها بالعمل الدائب قبل أن يوافيه الأجل المحتوم . الأول تبقى تجاربه فى رأسه حتى تصدأ على مر الدهور والثانى تنتقل تجاربه من جيل إلى جيل فتتجدد وتنصقل . وهذا الفرق هو الذى جعل اليهود يتفوقون عليكم حتى فى هذه الرسالة التى كانت رسالتكم فى الأصل !

الثانى : ائذن لى يا مولاى أندمج من اليوم ! لأبحثن لى عن ساق كساق المجدلية أموت بعدها قرير العين ! (**يضحك إبليس**)

الأول : أو تذكر تلك الساق بعد ؟

الثانى : كيف أنساها يا صاح ؟ تباً لخلود يحول بينى وبين هذه المُتع !

الاول : صدقت : ما قيمة هذا الخلود الممل إذا قيس بالعيش البهيج المختصر ؟ ائذن لى أنا أيضاً يا مولاى !

إبليس : كلا .. أنتما وزيراى يجب أن تبقيا معى فإنى أخشى إن أفردت وحدى أن تغرينى نفسى فأندمج أنا أيضاً ! (**يضحك الجميع**)

أصوات : اندمج يا مولانا ! اندمج معنا !

إبليس : ويلكم منذا يرعى الرسالة بعدى ؟ منذا يدفع عنها مكايد رب العزة ؟ بحسبى يا أبنائى الأعزاء أن أراكم تتمتعون وتتوالدون وتتجددون فأشعر كأننى أتمتع فيكم وأتوالد وأتجدد !

الشيطانان : ونحن ؟

إبليس : أنتما مقضى عليكما بالبقاء معى فى هذا الخلود الممل حتى يتم انتصارنا على رب العزة فتذوقا معى لذة الانتصار !

الثانى : ساق كساق المجدلية ألذ وأمتع !

إبليس : صه لا ينبغى أن تكون أنانيا ، فعلى كل منا أن يؤدى واجبه بكل ما يملك من قوة وصبر !

الثانى : عجبى من هؤلاء كيف يؤثرون الخلود بعد ويخشون الموت !

الجمع : كلا،صرنا لا نريد الخلود ولا نخشى الموت !

إبليس : رضيتم الآن بالاندماج ؟

الجمع : نعم .

إبليس : جميعاً ؟

الجمع : جميعاً ..

إبليس : بوركتم . الآن اطمأن قلبى وقوى أملى فى النصر .

الثانى : ماذا تنتظرون ؟ لو كنت مكانكم لكنت أول من ينطلق لأتخير أجمل زوجة فيهم فأندمج فى زوجها !

الأول : أجل .. طوبى للسابقين . السابقون هم الفائزون !

شيطانة : وطوبى للسابقات . السابقات،هنّ الفائزات !

الجمع : (**يهتفون**) إلى الاندماج ! إلى الاندماج ! (**تضطرب صفوفهم محاولين الخروج والانطلاق**)

إبليس : (**يصيح بهم**) على رسلكم ! على رسلكن ! انتظروا قليلا .. انتظرن قليلا . (**يتوقف الجمع ويسكن من جديد**) أولادى الأعزاء يجب أن أزودكم بنصيحة قبل أن تفارقونى . اعلموا أولا أننى قد سحبت ثقتى من اليهود ووضعتها فيكم فأنتم سندى وعليكم اعتمادى .

الجمع : شكرانك شكرانك !

إبليس : إنهم متفوقون عليكم فى فنون الشر والإثم والغواية فاحرصوا على تلقيها عنهم واقتباسها منهم حتى تستردوا شيئاً من مكانتكم واعتباركم .. أتسمعون ؟

الجمع : نعم نعم .

إبليس : ولكن اليهود قوم تياهون يستخفهم العجب والغرور فينسيهم أحيانا ما يجب عليهم أن يلتزموه . وقد رأيتم كيف ركبهم الغرور أخيراً فأنكروا وجودى واعتبرونى وهماً من الأوهام .

الجمع : أوغاد ! أنذال ! ناكرون للجميل ! كفارون للنعم !

إبليس : لا بأس . ليس يعنينى كثيراً أن يعرفوا فضلى أو يجحدوه ماداموا قائمين برسالتى فى العالم على الوجه الأكمل . ولكنى أخشى على ذلك السر الخطير أن يكشفوه ؟

الجمع : ما هو يا مولانا ؟ ما هو ذلك السر ؟

إبليس : هو أنى قد سلختهم من الإنسانية فلا تربطهم بالإنسان غير صلة العداوة والبغضاء إلى أن يقوم ملكوتى الذى يسمونه ملكوتهم فينتقموا من جميع البشر ويسخروهم تسخير الأنعام . أو ما تعرفون ذلك ؟

الجمع : بلى نعرف ذلك .

إبليس : وقد أوصيت أسلافهم فبالغوا فى كتمان هذا السر حتى أنهم كانوا يلقون عليه الحجب والأستار بما ينادون به فى كل عصر من الشعارات الإنسانية المختلفة ليصرفوا عيون الناس عن حقيقة ما يخفون . ولكنى أخشى اليوم من هؤلاء أن يستخفهم الغرور فتجرى ألسنتهم بما يفتح عين الإنسان على هذا السر قبل أن يتم قيام الملكوت . أواه ! لقد أدركت اليوم خطئى إذ اعتمدت عليهم وحدهم . ما كان ينبغى لى وأنا أحارب رب العزة أن أضع بيضى كله فى سلة واحدة !

الثانى : ما يمنعك اليوم يا مولاى أن تصحح هذا الخطأ فتوزع بيضك فى سلال مختلفة ؟

إبليس : هيهات . قد فات الأوان ولم يبق إلى التراجع من سبيل . البيض كله اليوم فى سلة واحدة وعليكم أنتم يا جنودى أن تحرسوا البيض وتحرسوا السلة !

الجمع : كيف يا مولانا ؟ أرشدنا ماذا نفعل ؟

إبليس : إذا أنتم اندمجتم فيهم فليكن همكم الأكبر أن تتدسّسوا إلى سرائرهم فتوحوا إليهم بالتزام التواضع ونبذ الغرور .

أصوات : أجل لنفعلنَّ ذلك ! لنوحينّ إليهم بأن يعترفوا بربوبيتك ويثوبوا إلى عبادتك !

إبليس : هذا لا يعنينى فهم يعبدون الذهب وهو مظهرى فى الأرض . ولكن الذى يعنينى هو أن يحرصوا على سرى الأكبر ألاّ ينكشف للناس .

صوت : ماذا يحدث يا مولانا لو انكشف ؟

إبليس : ألا تدرون ماذا يحدث ؟ سلوا الجراثيم التى كانت تفتك

بالإنسان منذ كان دون أن يشعر بوجودها : ماذا دهاها لما انكشف سرها للإنسان ؟ ألم يشنّ عليها حرب الإبادة دون هوادة ؟

الجمع : بلى .

إبليس : فكذلك سيكون المصير إن انكشف هذا السر الخطير .

أصوات : دعهم يلاقوا هذا المصير ! دعهم يبادوا لنستريح منهم !

إبليس : ويلكم أنسيتم أن مصيرنا مرتبط بمصيرهم ؟ إن باد هؤلاء فستحل بنا الهزيمة .

الجمع : تحل بنا الهزيمة ؟!

إبليس : وسيعلو الخير على الشر .

الجمع : يعلو الخير على الشر ؟!

إبليس : وستبطل الحروب .

الجمع : تبطل الحروب ؟

إبليس : ويسود السلام فى الأرض !

الجمع : يسود السلام ؟

إبليس : وأنتحر !

الجمع : ماذا تقول ؟ تنتحر ؟

إبليس : ماذا يبقى أمامى يومئذ غير الانتحار ؟

الجمع : معاذك يا مولانا معاذك ! حاشاك ! حاشاك !

أصوات : لنحرسنّ البيض والسلة !

: ولن تحل بنا الهزيمة !

: لن تبطل الحروب !

: لن يسود السلام !

: ولن يعلو الخير على الشر !

: أنت المنصور إلى الأبد !

: لك المجد ولك النصر !

إبليس : بوركتم ! بوركتم ! انطلقوا الآن إلى حيث تندمجون ! انطلقوا وموعدكم معى يوم يقوم الملكوت ! (**ينطلق الجمع خارجين فى قوة وعزم**)

إبليس : (**ينظر إلى شيطانيه فى نشوة وجذل**) حقاً إنهم لجنود مخلصون ! لن أهزم أبداً ومعى هؤلاء وبنو إسرائيل !

(**يهبط فجأة نور سماوى فيتركز عموديا على وسط المسرح . ويرتاع إبليس وشيطاناه فيبتعدون عن عمود النور . ثم يسمع صوت من عل**)

الصوت : يا بنات أورشليم !

الشيطان الأول : وى ! يشبه صوت عيسى !

الصوت : يابنات أورشليم ! لا تبكين علىّ.وعلى أنفسكن وأولادكن فابكين ! أيام يقولون طوبى للعواقر والبطون التى لم تلد والثدى التى لم ترضع ! أيام ينادون الجبال أن تسقط عليهم ، والآكام أن تكون لهم غطاء !

الشيطان الثانى : أجل هذا صوت عيسى ! (**يسمع صوت ثان**)

الصوت الثانى : وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله . ويسعون فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين !

الشيطان الأول : وهذا كأنه صوت محمد !

الشيطان الثانى : بل هو صوت محمد !

إبليس : (**ثائراً فى غيظ**) كلا كلا لقد هلك عيسى ومات محمد !

(**يسمع صوت ثالث**)

الصوت الثالث : رويدك يا إبليس ! الكلمة لم تمت !

إبليس : اسمع يا جبريل ! لن تهزمنى الكلمة .. أنا فوق الكلمة !

الصوت الثالث : استمع إليها إذن !

إبليس : كلا لن أستمع ! قد محوت الكلمة !

الصوت الأول : الأرض والسماوات تزول وكلماتى لا تزول !

الصوت الثانى : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون !

الصوت الأول : طوبى لصانعي السلام فإنهم أبناء الله يدعون !

الصوت الثانى : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ! (**يستولى الهلع والخوف على إبليس وشيطانيه فيسدون آذانهم بأصابعهم ويغمضون عيونهم**) قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام !

« ستار الختام »

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

(تفخر « مكتبة مصر» بأن تقدمها إلى عشاق أدبه الرفيع بنفس أسعارها قبل ارتفاع تكلفتها) .

وتظل قضية إبعاد باكثير عن المسرح والوظيفة ، وإبعاده عن كل دوائر الضوء جريمة من جرائم العصر عجلت بموته فى العاشر من نوفمبر ١٩٦٩ .

ويعتبره النقاد المنصفون من أعظم من كتبوا المسرحية العربية إن لم يكن أعظمهم .

- إخناتون ونفرتيتى
- سلامة القس
- وا إسلاماه
- قصر الهودج (قصة شعرية)
- الفرعون الموعود
- شيلوك الجديد
- عودة الفردوس
- روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
- سر الحاكم بأمر الله
- ليلة النهر
- السلسلة والغفران
- الثائر الأحمر
- الدكتور حازم
- أبو دلامة (مضحك الخليفة)
- مسمار جحا
- مأساة أوديب
- سر شهر زاد
- سيرة شجاع
- شعب الله المختار
- إمبراطورية فى المزاد
- الدنيا فوضى
- إبراهيم باشا
- الشيماء
- فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية
- أوزوريس
- تظام البردة ـ ذكرى محمد ﷺ

ـ من فوق سبع سموات
ـ التوراة الضائعة
ـ إله إسرائيل
ـ دار ابن لقمان
ـ قطط وفيران
ـ هاروت وماروت
ـ جلفدان هانم
ـ الفلاح الفصيح
ـ حبل الغسيل
ـ هكذا لقى الله عمر (بن عبد العزيز)
ـ مسرح السياسة
ـ الدودة والثعبان
ـ مأساة زينب
ـ أحلام نابليون
ـ قضية أهل الربع
ـ الوطن الأكبر
ـ حرب البسوس
ـ الفارس الجميل
ـ همام فى بلاد الأحقاف
ـ الملحمة الإسلامية الكبرى (عمر) ، أقوى وأمتع ما كتب : باكثير ، وتقع فى ١٨ جزءا كالتالى :

(١) على أسوار دمشق . (٢) معركة الجسر . (٣) كسرى وقيصر .
(٤) أبطال اليرموك . (٥) تراب من أرض فارس . (٦) رستم
(٧) أبطال القادسية . (٨) مقاليد بيت المقدس (٩) صلاة فى الإيوان .
(١٠) مكيدة من هرقل . (١١) عمر وخالد . (١٢) سر المقوقس .
(١٣) عام الرمادة . (١٤) حديث الهرمزان . (١٥) شطا وأرمانوسة .
(١٦) الولاة والرعية ـ فتح الفتوح . (١٧) القوى الأمين . (١٨) غروب الشمس .

* * *

رقم الإيداع ٥٧٨١ / ٨٨
الترقيم الدولى ٦ ــ ٠٤٥٨ ــ ١١ ــ ٩٧٧

RAJOL

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

الثمن ٣٧٥ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه